موقع المكتبة الصوتية للشيخ:

صَالح بن سعد السُّحيمي -حفظه الله-

www.alsoheemy.net

شرحُ النَّصِيحة الوَلَدِيَّة
وَصِيَّة أبي الوَليد البَاجِيّ لِوَلَدَيْه

شرح فضيلة الشـيخ الدكـتور:

صَالِحُ بنْ سَعْد السُحَيْميِّ

موجِّه الدعاة بفرع وزارةِ الشُّؤون الإسلاميّة
بالمدينةِ النبويّة، والمُدرِّس بالمسجدِ النبويِّ

المجلس الأول

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٣].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

إخوتي وأحبَّتي في الله! قبل أن نبدأ درسنا عن وصيَّة **(أبي الوليد الباجيِّ)** لابنيْه، أودُّ أن أبيِّن لكم أهمية هذه المقدِّمة التي بدأت بها؛ وهي خطبة الحاجة، وقد ثبتت بها الأحاديث الصَّحيحة عن النَّبي صلىٰ الله عليه وسلم، قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: "كَانَ رسُولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلم يُعلِّمُنَا خُطبةَ الحاجَةِ كمَا يُعلِّمُنَا السُّورَةَ مِنْ القُرآنَ".

ومن أراد الاطِّلاع على الفوائد الجمَّة في روايات هذه الخطبة فليرجع إلىٰ كتاب أفرده في تلك الرِّوايات، الشَّيخ: محمد ناصر الدِّين الألباني –رحمه الله تعالىٰ– فليُرجع إليه.

---

[١] [آل عمران:١٠٢].

[٢] [النساء:١].

[٣] [الأحزاب:٧٠-٧١].

وهي خطبة عظيمة فيها التوحيد، وفيها حمدُ الله والثناء عليه، وفيها الأمر بتقوى الله -جلَّ وعلا-، وفيها الحثُّ على التمسُّك بالكتاب الكريم، وسنَّة النَّبي صلى الله عليه وسلم، وفيها التَّحذير من البدع والمحدثات، وفيها اللُّجوء إلى الله -عزَّ وجلَّ- والاستعاذة به من السيِّئات، ونحو ذلك من الفوائد العظيمة التي تشتمل عليها هذه الخطبة، فلنبدأ بها أحاديثنا، ودروسنا، ومواعظنا، أو بجزء منها على الأقل.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد يبدأ بها، وقد يبدأ ببعضها، ويُخطئ من يظنُّ أنَّ تلك الخطبة خاصَّة بعقد النِّكاح كما يتصوره البعض. نعم، عقد النِّكاح شأنه عظيم، فيُبدأ بهذه الخطبة –أعني خطبة الحاجة– كما يُبدأ بها غيره من الأمور المهمَّة والمسائل العظيمة، من المحاضرات والنَّدوات والمواعظ والتوجيهات والدروس والنَّافعة، وتُجعل طُرَّةً للكتب التي تُؤلَّف، لعلَّ الله تعالىٰ أن ينفع بها افتتاحيَّةً لتلك الكتب. فأوصيكم ونفسي بالعناية بها.

ثمَّ إنَّ هذا الكتاب الذي سنشرحه -إن شاء الله تعالىٰ-، وسأبدأ شرحه في يوم السبت بعد صلاة المغرب، الموافق للحادي عشر من شهر رجب المحرَّم، سنة ثلاثين وأربعمئة وألف للهجرة النبويَّة، بمسجد (بني سلمة) المسمَّىٰ مسجد (القبلتين) ضمن فعاليَّة الدورة العلمية الثامنة، لدورة إمام دار الهجرة الإمام "مالك بن أنس" -رحمه الله تعالى-، لنا شرفٌ أن تُسمَّى باسمه إمام دار الهجرة، الذي قيل فيه: "لاَ يُفتَى ومَالكٌ فِي المَدينة".

وهذا الكتاب هو لعالمٍ من علماء المالكيَّةِ الأجلاَّء؛ وهو: أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، المتوفَّى سنة: أربع وسبعين وأربعمئة للهجرة النبويِّة (٤٧٤ هـ)، بعد أن خلَّف مؤلَّفات عظيمة على رأسها كتابه المشهور: **(المُنتقى)** وهو شرح لموطَّأ الإمام مالك -رحمه الله تعالى-.

وهذا الكتاب الذي نحن بصدده هي وصيَّةٌ لولديه؛ وهي وصيَّةٌ تضمنت وصايا نافعة في العقيدة، والعلم، والسُّلوك، والزهد، والورع، والعناية بالكتاب والسنَّة، وغير ذلك من الآداب الشرعيَّة التي لا غنىٰ لطالب العلم عنها.

ونبدأ الآن نشرح، أو نشرع في شرح تلك الوصيَّة، ويقرأ المتن أخونا: "أبو عبد البر" -وفقه الله تعالى-. تفضل.

[المتن]

بسم الله الرحمٰن الرّحيم وبه نستعين، الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على النَّبي الأمين، محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان على يوم الدين، أمَّا بعد:

فيقول الشَّيخ الفقيه الإمام الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي –رحمه الله وغفر له ولشيخنا ولنا وللمسلمين-، في وصيَّته لولديْه:

بسم الله الرحْمٰن الرحيم، وصلَّىٰ الله على سيِّدنا محمد وآله:

يا بَنِيَّ!

[الشرح]

هنا بدأ بالبسملة، ثمَّ شرع بعد الصَّلاة على النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم في الوصيَّة، وتعلمون أنَّه يُسنُّ البدء أو الختم أو ذكر الصَّلاة على النَّبي صلى الله عليه وسلم في الكتب وفي الدُّعاء، وفي الخطب؛ بل إنَّها واجبة في خطبة الجمعة، وهي من الآداب التي يُرفع الدُّعاء بسببها -بإذن الله تعالىٰ-، فلنُحافظ عليها وفق منهج السَّلف، إمَّا بالصَّلاة الإبراهيميَّة المعروفة التي نقرأها في التشهُّدِ، وإمَّا بمختصرها وهي جملة: "صلى الله عليه وسلم" بعيدًا عن بعض ألفاظ الغلو والجفاء.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

يَا بَنِيَّ، هَدَاكُما الله وأرشَدَكُما ووفَّقَكُما وَعصَمَكُما، وتَفَضَّل عَليكُما بخَيْرِ الدُّنيَا وَالآخِرَة.

[الشرح]

هَذَا دعاء عظيم لابنيه بالتّوفيق والسّداد والعصمة من المعاصي، والبُعد عنها، والهداية إلى طريق الحقّ؛ لأنَّ هذا من أعظم ما يدعو به المسلم لأخيه المسلم، فيكف الأب مع ابنيه؟

[المتن]

وَوَقَاكُما مَحذُورَهُما برَحمَتِه. إنَّكُما لَمَّا بَلغتُما الحدَّ الذِي قرُبَ فِيه تَعيُّنُ الفُروضِ عَليكُما، وَتوجَّه التَّكلِيفُ إلَيكُمَا، وَتَحقَّقتُ أَنَّكُما قَد بَلَغتُمَا حَدَّ مَنْ يفهَمُ الوَعظَ، وَيتَبيَّنُ الرُّشدَ، وَيصلُحُ للتَّعلِيم وَالعِلمِ، لَزِمَنِي أنْ أقدِّمَ إلَيكُما وَصِيَّتِي، وَأُظهِرَ إلَيكُما نَصيحَتِي، مَخَافَةَ أنْ تختَرِمَني مَنِيةٌ وَلَم أبلُغْ مُبَاشرةَ تَعلِيمِكُما وَتدرِيبِكُما، وَإرشَادَكُما وَتفهِيمَكُما.

[الشرح]

هنا يقول المصنِّف —رحمهُ الله—: أنَّني عندما شعُرت ببلوغكما سنًّا تفهمان فيه الوصية، شعرت بالمسؤوليّة الكبرى تجاهكما، فكتبت أو أوصيتكما، أو عزمت على أن أوصيكما بهذه الوصيّة، لأمرين:

الأمر الأول: بلوغكما سنًّا تتحملان فيه تلك الوصية، ولعلها -والله أعلم- سنَّ التمييز، والله أعلم؛ لأنَّ المسلم وإن لم يرِد ما يدل على السنِّ الذي أوصاهما فيه؛ لكن لعلَّ أقرب ما يكون هو سنَّ التّمييز، وقد يكون عشر سنين أو سبع، وقد يكون سنَّ البلوغ؛ لكن الذي يبدو أنَّ من بلغ عشر سنين يفهم؛ ولذلك يقول النّبي صلى الله عليه وسلم: **((مُرُوا أبنَاءَكُم بالصَّلاةِ لِسبْعٍ، وَاضرِبُوهُم عَلَيْهَا لِعَشرٍ، وفَرِّقُوا بَيْنَهُم فِي المَضَاجِعِ))**[٤] فيبدو أنَّهما قد بلغا نحوًا من هذه الأعمار، إمَّا سبع أو عشر أو سنَّ البلوغ الذي يجب عليهما فيه التَّكليف ،وقد يكون هذا مرجّحا، والله أعلم.

---

[٤] رواه أحمد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ٥٨٦٨.

والسبب الثَّاني: تخوفه أن تخترمه المنيَّة قبل أن يُسدِيَ إليهما هذا النَّصح العظيم؛ لأنَّه قد شَعُرَ بدنوِّ أجله، والمسلم ينبغي له أن يكون مستعدًّا للموت دائمًا «إِذَا أَمسَيتَ لاَ تنتَظِرِ الصَّبَاح، وإِذَا أَصبَحت فَلاَ تنتظِرِ المَسَاء، وصلِّ صَلاَة مودِّع» كما يقول "عبد الله بن عمر" -رضي الله عنه-، وفي الحديث: **((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ))**[٥].

فعلينا أن نتنبَّه لمغزى هذه الوصيَّة، وللأسباب التي جعلته يقوم بها، وأن يحذو حذوه كل واحد منَّا مع بنيه، وأولاده، وأحفاده، وبناته، وأسرته، شعورًا بالمسؤوليَّة؛ لأنَّ **((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))**[٦].

[المتن]

قال –رحمه الله-:

"فَإِنْ أنْسأَ اللهُ تعَالى فِي الأَجَل، فَسَيَتَكَرَّرُ النُّصحُ وَالتَّعلِيمُ وَالإرشَادُ وَالتَّفهِيم، وَمَا تَوفِيقِي إلاَّ بِالله، عَلَيهِ تَوكَّلتُ وَعَليهِ فَليتَوكَّلِ المتَوَكِّلُون، بِيدِه قُلوبُكُما وَنَواصِيكُما.

وَإِنْ حَالَ بَينِي وَبَينَ ذَلكَ مَا أتوَقَّعُه وَأَظنُّه مِن اقترابِ الأَجلِ، وَانقِطَاعِ الأمَلِ، فَفِيمَا أرسُمُه مِنْ وَصِيَّتِي وَأبيِّنُه مِنْ نَصِيحَتِي مَا إنْ عَمِلتُمَا به، ثَبُّتمَا عَلى مِنهَاجِ السَّلَفِ الصَّالِح، وَفُزتُما بِالمتجَرِ الرَّابِح، وَنِلتُمَا خَيْرَ الدُّنيَا وَالآخِرَة، وَأستَودِعُ اللهَ دِينَكُما ودُنيَاكُمَا، وَأستَحفِظُه مَعَاشَكُما وَمَعادَكُما، وَأُفوِّضُ إلَيه جَميعَ أحوَالِكُما، وَهُو حَسبِي فِيكُما ونِعمَ الوَكِيلُ".

هنا يستدرك الشيخ -رحمه الله- الباجي- يقول: أنا أمام حالتين:

---

[٥] أخرجه البخاري (٥/٢٣٥٨ ، رقم ٦٠٥٣).

[٦] أخرجه: البخاري ٧/٤١ (٥٢٠٠)، ومسلم ٦/٧ (١٨٢٩) (٢٠).

● إنْ مدَّ الله في أجلي، وطال عمري بحسب تقدير الله -جلَّ وعلا-، فإنّي سأتعاهدُكما بنصائح أخرى ، ووصايا ثمينة أخرى، ولن أقتصر على هذه الوصيّة، شعورًا بالمسؤولية اتجاهكما.

● وإن قدَّر الله عليَّ أجلي فإنَّ في هذه الوصية من الأمور العظام، والمسائل الجِسام، ما إن عملتم به فزتم بالدنيا والآخرة؛ لأنَّها تتضمّن أمورًا من حققها سَعُدَ في دنياه وآخرته؛ لأنَّها تتضمّن الأعمال التي تؤهِّلُ للآخرة ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[٧]

فلذلك وعد أن يتعهدهما بالنُّصح ما دام حيًّا، فإذا قدّر الله عليه أجله؛ لأنَّ الآجال بيد الله ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[٨]، فإنَّه يستودعهم الله، ويتوكَّل عليه بشأنهما، ومن توكَّل على الله كفاه، ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾[٩]، عليه يتوكل المتوكِّلون، وبه يعتصم المعتصمون، وإليه يلجأ اللاَّجئون.

فقد استودع من إذا استُودِع حَفِظْ -سبحانه وتعالىٰ-، وإنَّما يحفظ تلك الوديعة إذا قامت تلك الوديعة بحفظ الله ((**يَا غُلامُ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ**))[١٠] ثمَّ استودعهما ربَّه -سبحانه وتعالىٰ- الذي لا تضيع ودائعه، وبيَّن أنَّ التَّوفيق بيد الله -عزَّ وجلَّ-، الذي يهدي من يشاء فضلاً، ويضلُّ من يشاء عدلاً، لا رادَّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

---

[٧] [النحل:٩٧].

[٨] [الأعراف: ٣٤].

[٩] [الطلاق:٣].

[١٠] رواه أحمد، والترمذي وصححه الألباني

لاَ أحَد أنْصَحَ لِلوَلَدِ مِنْ وَالِدِهِ

وَاعلَمَا أنْ لاَ أحَدَ أنصَحَ مِنِّي لَكُما، وَلاَ أشفَقَ مِنِّي عَليكُما، وَأنَّه لَيسَ فِي الأَرضِ مَنْ تَطِيبُ نَفسِي أنْ يَفضُلَ عَليَّ غيْرُكُما، وَلاَ أرفَعُ حَالاً فِي أَمرِ الدِّينِ وَالدُّنيا سِواكُمَا.

[الشرح]

يعني يبيِّن –رحمه الله– أنَّ النصيحة واجبة على كلِّ والد، نحو المسلمين جميعًا، ونحو أولاده من باب أولى، ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾[11]، وانظروا إلى وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأقاربه، عندما دعاهم إلى دين الله الحق، بدأ بالعشيرة لما نزلت الآية ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾، صعد صلى الله عليه وسلم المنبر؛ فقال: ((**يَا مَعشَرَ قُرَيش، يا بَنِي فِهر، يا بني فلان، يا بني فلان، لاَ أُغنِي عَنكُم مِنَ الله شيئًا، يَا بَنِي هَاشِم لاَ أُغنِي عَنكُم مِنَ الله شيئًا، يَا العبَّاس** [من هو العبَّاس؟ عمُّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم] **لاَ أُغنِي عَنكُم مِنَ الله شيئًا، يا صَفِيَّة عمَّة رسُول الله صلَّى الله عليه وسلم لاَ أُغنِي عَنكِ مِنَ الله شيئًا، يَا فَاطِمَة بنت مُحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلم سليني من مَالِي مَا شِئتِ، لاَ أُغنِي عَنكِ مِنَ الله شيئًا**))[12].

فالأقربون أولى بالمعروف، وأولى الأقربين هم من؟ الأبناء: الأولاد والبنات ، هم أولى الأقربين، ولذلك بيَّن -رحمه الله- أنّه لا يفضِّل عليهما أحدًا، ولا يحبُّ أن يفضُلهُ غَيرهما؛ يعني الابن الآن المسلم دائمًا يحب أن يكون ولده خيرًا منه، ربَّما يحُوك في نفسه أن يكون غيره خيرًا منه من سائر النَّاس؛ لكن يفرح ويغتبط إذا كان أبناؤه خيرًا منه وأفضل منه.

ولذلك قال: إنِّي لا أُوثِر عليكمَا أحدًا، في أمور الدّين والدّنيا، لأنّكما فِلذةُ كبدي، وقرَّة عيني، وذخرًا لي بعد مماتي. لعلَّه تذكَّر -والحال هذه- قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أَو

[11] [الشعراء:٢١٤].

[12] متفقٌ عليه.

وَلدٍ صَالِحٍ يَدعُو لَهُ)) في الحديث الصحيح: **((إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))**[13]، فأوصاهما بهذه الوصيَّة العظيمة.

[المتن]

قال -رحمه الله-:

وجوُب طَاعةِ نُصحِ الأب:

وأقلُّ مَا يُوجِبُ ذَلكَ عَليكُمَا أَن تُصِيخَا[14] إلَى قَولِي، وتتَّعِظَا بوَعظِي، وتتفهَّمَا إِرشَادِي ونُصحِي، وتتيقَّنَا أنِّي لَم أنهكُمَا عَن خَير، وَلاَ أمرتُكُمَا بِشَر، وتَسلُكَا السَّبِيلَ التِي نهجتُهَا، وتتمثَّلاَ الحَالَ التِي تمَّلتُهَا.

[الشرح]

هنا يبيِّن لهما وجوب قبول الولد لنصح الوالد، وأنَّ ذلك من طاعة الله -جلَّ وعلا،- لاسيما إذا كان الوالد عالًما من علماء المسلمين الذين رزقهم الله العلم النَّافع، والعمل الصَّالح، فيقتدون به، فيكون قدوة صالحة لهم؛ لأنَّه محَّضهم النُّصح، وطلب منهم أن يعملا به.

ويقول إنَّني نصحتكما ابتغاء وجه الله، من أجل أن تكونا على الجادَّة، على الصِّراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وصحبه الكرام. وأعظم نصيحةٍ وأخلص نصيحةٍ هي ما يقدِّمها الوالد لبنيه، فعليهم أن يقتدوا به إذا كان من أهل العلم العاملين بعلمهم:

«بِأبِهِ اقتَدَى عَدِيٌّ فِي الكَرَمْ ... ومَن يُشَابِه أَبَاهُ فَمَا ظَلَمْ»

لاسيما إذا كان الأب ممن يُقتدى بهم، ونحسب أنَّ ذلك العالم الجليل على هذه الحال، فينبغي التأسِّي به وبأمثاله من علماء المسلمين الربَّانيِّين الذين يقضون بالحقِّ وبه يعدِلون.

---

[13] رواه مسلم (١٦٣١).

[14] قال الشيخ حفظه الله ((أصلحوها في الطّبعة التي عندي مكتوب: (أن تُصخِيَا) أصلحوها (أن تُصِيخَا).

[المتن]

قال –رحمه الله -:

صَلاَحُ أهلِ بيتِ المؤلِّفِ

وَاعلَمَا أنّنَا أَهلُ بَيتٍ لم يَخلُ بِفَضلِ اللهِ مَا انتهَى إلَينَا مِنهُ مِنْ صَلاَحٍ وَتَديُّنٍ وَعَفافٍ وَتَصاوُنٍ، فَكَانَ بنُو أيُّوبَ بنِ وَارثٍ، عَفَا اللهُ عَنَّا وعَنهُم أَجمَعِين: جَدُّنا سَعد، ثمَّ كَانَ بَنُو سَعدٍ: سُليمانَ وَخَلَف وَعَبدَ الرَّحمَن وأَحمَد.

وَكَانَ أَوفرُ الصَّلاَحِ والتَّديُّنِ والتَّورُّعِ وَالتعبُّدِ في جدِّكم خَلَف؛ كَانَ مَع جَاهِهِ وحَالِه واتِّسَاعِ دُنيَاه، مُنقَبضًا عَنهَا، مُتقلِّلاً مِنهَا، ثمَّ أقبَلَ عَلَى العِبادَةِ والاعتِكَاف إلَى أَن تُوفِّي -رَحمَه الله-.

إخْوَةَ المؤلِّف

ثمَّ كَانَ بَنُو خَلَفٍ: عَمَّاكُما عَليٌّ وعُمرُ، وأبُوكُما سُلَيمانُ، وَعَمَّاكُما محمَّد وَإبرَاهِيم، فَلَم يَكُن في أَعمَامِكُما إلاَّ مَشهُورٌ بِالحَجِّ والجِهَادِ وَالصَّلاَحِ وَالعفَاف، حَتى تُوُفِّي مِنهُم عَلَى ذَلِكَ، عَفَا اللهُ عَنَّا وَعَنهُم.

وَكَأَنَّنِي لاَحِقٌ بِهِم وَوَارِدٌ عَلَيهِم، وَيَصِيرِ الأَمرُ إلَيكُمَا، فَلاَ تَأخُذَا غَيْرَ سَبيلِهم، وَلاَ تَرضيَا غَيْرَ أحوَالِهم، فَإنِ استطَعتُما الزِّيَادةَ، فَلأنفُسكُما تُمهِّدَان، وَلها تَبنِيَان، وَإلاَّ فَلا تَقصرُا عَن حَالِهم.

[الشرح]

يبيِّن المصنَّف –رحمه الله تعالىٰ– من ينبغي أن يُقتدى بهم، ويُذكِّرهم بأنَّ أسرتهم أسرة علم، وفضل وخير، ابتداء من آبائهم بني أيوب، إلى جدهم "خلف"، إلى أعمامهما، وعدَّ نفسه منهما ولعلَّه كذلك إن شاء الله تعالى، عدّ نفسه منهم، وهذا من باب إحسان الظنَّ بالله -عزَّ وجل-، والثَّقة به والرَّجاء فيه، وليس من باب تزكية النفس، وإنما من باب الرجاء في أن يموت

على ما مات عليه أبوه وإخوته من خير وصلاح، لأنَّه لا يعلم عنهم إلاَّ خيرًا. ويطلب من ولديه أن يتمثلا بهذه القدوة الصَّالحة.

ومن فضل الله علىٰ المسلم أن يولد في بيت علمٍ وفضلٍ وخير، فإنَّ ذلك يجعله يُحاط -بإذن الله تعالىٰ- بعناية ورعاية فائقة؛ تربِّيه على التُّقىٰ، وتربِّيه علىٰ العلم النَّافع، والعمل الصَّالح، وذكر ما لأعمامه من حرصٍ على الحجِّ والجهاد، وأعمال الخير الأخرىٰ فإنَّ ذلك من أجلِّ الأعمال، وسيأتي تفصيلنا في مسألة الحج والجهاد أثناء الوصية، أثناء الوصايا ليست وصية واحدة؛ لكن المهم هنا أنَّه بيَّن لهما القدوة الصَّالحة التي ينبغي أن يقتديان بها.

فمن فضل الله على المرء أن يرزقه بيتَ علمٍ وفضلٍ ينشأ فيه، وهذا يذكِّرنا بأُسرٍ مباركة جاءت بعده وبعد ابنيه؛ مثل: أسرة شيخ الإسلام "ابن تيميّة"، وشيخ الإسلام "ابن القيِّم"، وشيخ الإسلام "محمد بن عبد الوهَّاب"، فكلها أُسر علم وفضل، أعطاهم الله -عزَّ وجلَّ- من الفضل والعلم والخير والسؤدد ما فاقوا به غيرهم، وما بزوا به أقرانهم، بفضل الله أولاً، ثمَّ بفضل العلم الشرعي الذي ساروا عليه، ثمَّ بفضل تمسّكهم بكتاب الله -جلَّ وعلا- وسنَّة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم

«مَن يَفعلِ الخَيرَ لاَ يعدَم جَوازِيَهُ ... لاَ يَذهبُ العُرفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ»

فانظروا الأسر الطيبة،

«وهل يُنبتُ الخُطِيُّ إلاَّ وَشِيجهُ ... وتُغرسُ إلاَّ في مَنابِتهَا النَّخلُ»

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾[١٥] انتبهتم لهذا؟ فهذا مثال عظيم لمن يجب الاقتداء بهم:

«فَتَشَبَّهُوا إن لَم تَكُونُوا مِثلَهُم ... إنَّ التشبُّهَ بالكِرَامِ فَلاحُ»

بل حثَّهم على أن يجتهدوا في أن يزيدوا من الخير علىٰ هؤلاء الذين ذكرهم؛ لأنَّ الزيادة أفضل وأعظم، وكما قال هو، إنَّه لا يحبُّ أن يفضُله أحدٌ غيرُ بنيه، وهذه سنَّة الله في خلقه،

---

[١٥] [الأعراف:٥٨].

يحبّ المرء من ولده أن يفضُله، وأن يكون خيرًا منه، بينما يودُّ هو أن يسبق أقرانه وأن يسبق غيره.

[المتن]

قال –رحمه الله -:

أول الوصايا: الإيمان بالله

وَأوَّلُ مَا أُوصِيكُما بِه مَا أُوصَى بِه إبرَاهِيمُ بَنِيه وَيعقُوبُ: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[16]. وَأَنهَاكُما عَمَّا نَهَى عَنهُ لُقمَانُ ابنَه وَهُوَ يَعِظُه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[17]، وَأُؤَكِّد عَلَيكُما فِي ذَلِك وَصِيَّتِي، وَأُكَرِّرُها حِرصاً عَلَى تَعلُّقِكُما وَتمسُّكِكُما بِهذَا الدِّين الذِي تَفضَّل اللهُ تَعَالَى عَلَينَا بِه، فَلاَ يَستَزِلَّكُما عَنهُ شَيء مِن أُمُورِ الدُّنيَا، وَابذُلاَ دُونَه أَروَاحَكُما، فَكَيفَ بِدُنيَاكُما؟ فَإِنَّه لاَ يَنفَعُ خيْرٌ بَعدَه الخُلودُ فِي النَّارِ، وَلاَ يَضرُّ ضَيْرٌ بَعدَه الخُلُودُ فِي الجَنَّة. ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[18].

[الشرح]

هذه وصيَّة عظيمة؛ بل هي أساس كلّ الوصايا القادمة وقُطب رَحاها، وذلك لأنَّه أمر ابنَيه بالإيمان بالله -جلَّ وعلا-، والإيمان بالله كلمة جامعة.

وتعريف الإيمان:

في اللّغة: هو الإقرار، وليس مجرد التصديق؛ لأنَّ الإقرار يشمل التَّصديق وزيادة، ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى كتاب (الإيمان) لشيخ الإسلام "ابن تيميّة" في ردِّه على "الباقلاَّني" الذي ادَّعى بأنَّ الإيمان مرادفٌ للتَّصديق، وقد اختصر ذلك في جملةٍ مفيدة، أخونا

---

[16] [البقرة: ١٣٢]

[17] [لقمان:١٣].

[18] [آل عمران: ٨٥].

الشَّيخ الدكتور: "عبد الرزاق البدر" –حفظه الله تعالى– في كتابه: **(زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه)** فليُراجع.

أمَّا تعريفه شرعًا: فهو قولٌ باللِّسان، وتصديقٌ بالجنان –وهو القلب-، وعمل بالأركان –وهي الجوارح-، فالإيمان قولٌ وعمل يزيد بالطَّاعةِ وينقص بالمعصية، هذا هو تعريف السَّلف، ولذلك يقول الإمام البخاري: "أَدْرَكتُ ألفًا منَ العُلمَاء يقُولونَ: الإيمَانُ قَولٌ وعَمَل"، ويقول سفيان بن عُيينة -رحمه الله-: «أدرَكتُ اثنَينِ وستِّينَ عالِمًا يقُولُون: الإيمانُ قولُ وعَمل».

وهل هناك تعارض بين من يقول من السَّلف (الإيمانُ قَولٌ وعَمل)، وبين من يقول (الإيمانُ قولٌ وعملٌ واعتقَاد)؟ من يجيب ويأخذ إحدىٰ هذه الجوائز؟

أقول: سمعتُم الآن منِّي كلام السَّلف أنَّ منهم من يقول: (الإيمان قول وعمَل)، وهناك من يعبِّر فيقول: (الإيمانُ قولٌ وعملٌ واعتقَاد)، فهل هناك تعارض بين هذين القولين؟[19]

الجواب:

القول: يشمل قول اللِّسان وقول القلب، **والعمل:** يشمل عمل القلب، وعمل اللِّسان، وعمل الجوارح.

طيب سؤال آخر يتعلق بهذا، ما هو قول القلب، مع الدَّليل؟

سمعتم إجابة أخيكم يقول: لا تعارض بينهما؛ لأنَّ الذين قالوا الإيمان قول وعمل يقصدون أنَّ الإيمان يشمل قول القلب، وقول اللِّسان، والعمل يشمل عمل القلب، وعمل اللِّسان وعمل الجوارح، السُّؤال هنا أوَّلا:

ما المقصود بقول القلب؟ وما الدَّليل؟

الجواب:

[19] في هذه المحاورة بين الشّيخ والطلاّب لم أثبت كلّ ما قاله، لأنّ الشيخ – حفظه الله - كان يختار المُجيب عن السّؤال، الذي لم تكن إجابته مسموعة في غالب الأحيان، فأثبتّ فقط إجابة الشّيخ الصّحيحة عن السّؤال المطروح.

قول القلب، مثاله حديث: **((مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إلاَّ الله صَادقًا أَو خَالِصًا مِن قَلبِه؛ دَخَلَ الجَنَّة))**[٢٠].

طيب فيه آية: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾**[٢١].

أيضًا آية في الحجرات **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾**[٢٢]

السُّؤال الذي بعده: مثِّل لقول اللِّسان من القرآن والسنَّة؟

الدَّليل على قول اللِّسان، قول اللِّسان النطق بإيش؟

الجواب:

فيه حديث صريح، حديث عُبادة: **((مَن شَهِدَ أنَّ لاَ إِلَه إلاَّ الله، وأنَّ محمَّدا عبدُ الله ورَسُوله، وأنَّ عِيسَى عبدُ اللهِ ورَسُوله وكلِمتُهُ ألقَاهَا إلى مَريمَ ورُوحٌ منه ...))**[٢٣] إلىٰ آخر الحديث.

السُّؤال الذي بعده: عمل القلب، من يعرِّف عمل القلب؟ ويستدلُّ عليه؟

الجواب:

الحياء، أحسنتم، أيضًا من أعمال القلوب: التوكُّل، والمحبَّة، والخشوع، والخضوع، والرَّجاء، والخوف: كل هذه أعمال القلب.

هناك ثلاثة أعمال لا يتمُّ الإيمان إلاَّ باجتماعها في القلب؟

ثلاثة أعمال من أعمال القلوب لا يتمُّ الإيمان إلاَّ باجتماعها في القلب، ويسمِّيها العلماء ماذا؟

اسمها أركان العبادة القلبيَّة، ما هي؟

الجواب:

---

[٢٠] السلسلة الصحيحة: (١٣١٤) و (٢٣٥٥)

[٢١] [التوبة:١١٩].

[٢٢] [الحجرات: ١٥].

[٢٣] رواه البخاري: (٣١٨٠)، ومسلم (٤١).

هي الحبُّ (المحبَّة) والخوف والرَّجاء، ﴿**وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا**﴾[24]

إذن عرفنا أيُّها الإخوة، عرفنا تعريف الإيمان، وأنَّه لا تعارض بين أقوال السَّلف الذين قالوا: (الإيمانُ قولٌ وعمل)، فإنَّه نفسه قول من قالوا: (الإيمانُ قَولٌ وعملٌ واعتقَاد)، وقد بُيِّن المقصود من ذلك. والإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطَّاعة وينقص بالمعصية.

ومن قال: (إنَّ الإيمان قول وعمل واعتِقَادٌ، يَزِيدُ بالطَّاعةِ ويَنقصُ بالَمعصِيةِ) فقد سلِم من قَولي المرجِئة الإباحيَّة، والخوارج التكفيريِّة. ولا يلزمه وراء ذلك شيءٌ ممَّا يتكلَّف به بعض المتكلِّفين، وبعض المتحذلقين، وامتحان النَّاس ببعض الألفاظ التي تحصل في السَّاحة من بعض النَّاس.

أقول –وأكرِّر-: من اعتقد أنَّ (الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقادٌ يزِيدُ وينقُص) وطبَّق مُقتضى ذلك؛ فقد سَلِمَ من منهج الخوارج المارقة، ومنهج المرجئة الإباحيَّة، فهمنا؟

هذه خذوها قاعدة، بدلاً من أن يُخاض بجعجعة أشبه ما تكون بالتكلُّف والتصنُّع الذي ما أنزل الله به من سلطان، فهمنا هذا؟

فإيَّاكم وامتحان الشَّباب والمسلمين ببعض الكلمات المحتمِلة، وبعض الألفاظ التي يُغني عنها كلام السَّلف، (الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقادٌ يَزِيدُ بالطَّاعةِ ويَنقُص بِالَمعصِيةِ) من قال ذلك وفهمه وطبَّقه فقد اتَّبع منهج السَّلف، وسَلِمَ من عُهدةِ الإرجاء والتَّكفير.

ثمَّ بيَّن بعد أن حثَّهم على الإيمان، حثَّ ابنَيه على الإيمان بالله -جلَّ وعلا-، بكلِّ ما تحمله كلمة الإيمان من معنىٰ. والإيمان يشمل الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسيأتي مزيد من التَّفصيل لذلك.

ثمَّ حذَّرهما ممَّا يُضادُّ الإيمان؛ ألا وهو: الشرك، واستدلَّ على الإيمان بقول يعقوب **لبنيه** ﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي**

[24] [الأنبياء: ٩٠].

قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[25] هذا هو الإيمان، وتفاصيل بعض المسائل قد تأتي أثناء هذه الوصيَّة -إن شاء الله تعالىٰ-.

ثمَّ حذَّرهم ممَّا يُضادُّه؛ وهو: الشرك لأنَّه لا إيمان بلا براءة من الشرك، لا ولاء بلا براء، ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ**﴾[26]، لا يصحُّ التوحيد إلاَّ بالكفر بما يُضادُّه وهو الشرك، واستدلَّ على ذلك بتحذير لقمان لابنه ﴿**يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾[27]، وهو أعظم ذنبٍ عُصِيَ به الله -جلَّ وعلا-، فمن يدَّعي الإيمان وهو يتعلَّق بالأصنام والأوثان وأصحاب القبور، يدعوهم من دون الله، ويسألهم قضاء الحاجات، وكشف الكربات وإزالة الملِّمات؛ فلا قيمة لدعواهُ الإيمان؛ لأنَّه ﴿**كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا**﴾[28] تمامًا، نقض ما أبرم، وهدم ما بنىٰ، وقوَّض ما أسَّس.

أقول هذا الكلام؛ لأنَّ كثيرًا من النَّاس في هذا العصر يدَّعون الإيمان، وهم ينطبق عليهم قول الله تعالىٰ: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴾[29]، وقوله -جلَّ وعلا-: ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾[30]، ولتوضيح المسألة أوجِّهُ هذا السُّؤال:

من يؤمن بالأركان الستَّة في الظَّاهر، ويؤدِّي الأركان الخمسة ثمَّ يأتي إلى ميِّتٍ في قبره، ويمدُّ يده إليه، ويقول له: اغفر لي يا فلان! أعطني يا فلان! مدد يا فلان! أنا في حماك يا فلان! أغثني يا حسن! يا حسين! يا نقشبندي! يا شاذلي! يا بدوي! يا مرسي! يا جيلاني! يا زيد! يا عمرو! هل يُعدُّ مؤمنًا؟ ولو أدَّى ما أشرت إليه من المباني، أجيبوا. لماذا؟

الجواب:

---

[25] [البقرة: ١٣٢- ١٣٣].

[26] [البقرة:٢٦٥].

[27] [لقمان:١٣].

[28] [النحل: ٩٢].

[29] [يوسف:١٠٦].

[30] [يوسف:١٠٣].

﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٣١]، **﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾**[٣٢]، **﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ ﴾**[٣٣]، **﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا﴾**[٣٤].

أُنبِّه على هذا الكلام؛ لأنَّ كثيرًا من واقع العالم الإسلامي اليوم يعيش هذه الحال، يُصلون ويُزكون، ويصومون، ويحجون، وهم ليس لهم من ذلك إلاَّ التَّعب والخسران، فمن صام وصلى وزكَّى وحجَّ، وفعل ما فعل من الأعمال، وهو يمدُّ يده إلى الموتى في قبورهم، أو إلى الأحياء يخضع لهم، وينكسر بين يديهم، ويسألهم قضاء الحاجات وكشف الكربات، وإزالة الملِمَّات، ويطلب منهم المدد والمغفرة، ويطلب منهم كشف الضرَّ أو جلب الخير، فلا قيمة لعمله الذي يعمل، ولو أتىٰ بعمل أمثال الجبال، فإنَّها حابطة لا قيمة لها.

ولا تغتروا ببعض الأشرطة التي توزع لبعض الجهلة دعاة الشرك الذين يُهوِّنون من هذه المسألة، ويدَّعون أنَّها لا تعدو أن تكون توسُّلاً بأولئك الأموات، وهو واللهِ الشرك بعينه الذي لا يقبل الله من صاحبه صرفًا ولا عدلاً، يقول صاحب أحد هذه الأشرطة من دعاة الشرك، يقول: "إنَّ هؤلاء الذين يَنهوَن عن التقرُّب والتوسُّط بعبَاد الله الصَّالِحين على غَيرِ هُدى، وليسوا بصادِقِين [يقول] إنَّ اللهَ أمرنَا بالتوسُّط بالجَمادات، ألاَ يدلُّ ذلك على جواز التوسُّط بعبَاد الله المُقرَّبين والمُؤمنين والصَّالحين". يقول هذا المشرك وداعية الشرك يستدلُّ على ذلك بالطواف بالكعبة، وبالمبيتِ بمنى ومزدلفة، وبالوقوف بعَرفة، وبالسعي بين الصفا والمروة هل هذه الأماكن مقصودة لذاتها، أم هل نحن نطلب شيئًا منها من دون الله -جلَّ وعلا-؟! أم نتأسىٰ في ذلك بنبيِّ الهدى صلىٰ الله عليه وسلم، ونمتثلُ أمر القرآن ﴿ **فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن**

---

[٣١] [المائدة:٧٢].

[٣٢] [الأنعام:٨٨].

[٣٣] [الزمر:٦٥- ٦٦].

[٣٤] [الفرقان:٢٣].

يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[35]، **﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾**[36]، **﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾**[37]، **﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾**[38].

هل قال: اسألوها قضاء الحاجات وكشف الكربات؟ هذا الذي يمثِّل بهذه الشعائر الدينيَّة فإنَّ الشعائر لا تقصد لذاتها، **﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾**[39]، جاء عمر بن الخطاب -رضي اللهُ عنه- يُقبِّل الحجر الأسود؛ فقال -رضي الله عنه-: "إنِّي أعلمُ أنَّكَ حَجرٌ لا تضرُّ وَلا تَنفَع، وَلَولاَ أنِّي رأيتُ رسُولَ الله صلَّىٰ الله عليه وسلم يُقبِّلكَ مَا قبَّلتُك"، فماذا يقول داعية الشرك هذا في مثل هذا النصِّ؟

إنَّمَا نطوف بالبيت، ونسعى بين الصَّفا والمروة، ونبيت بمنى، وبالمزدلفة ونقف بعرفة تأسيًا واقتداءً بالحبيب المصطفى صلَّىٰ الله عليه وسلم، امتثالاً لأمرِ الله -تبارك وتعالىٰ- ربِّنا، ولأمر نبيِّنا وحبيبنا محمد صلَّىٰ الله عليه وسلم، فماذا بعد الحقِّ إلاَّ الضَّلال؟

كيف يسوغ أن توزَّع أشرطته وتُباع في بعض تسجيلاتنا التي تُسمَّىٰ تسجيلات إسلاميَّة، وهي تدعو إلى الشرك؟!

انتبهوا لهٰذا الأمر فإنَّه في غاية من الخطورة، وأخلصوا أعمالكم لله، واعلموا -رحمني الله وإيَّاكم- أنَّ الشرك الأكبر يُبطل العمل جُملة وتفصيلاً، ولا يقبل الله من صاحبه صرفًا ولا عدلاً، وقد سمعتم الأدلة على ذلك، فلا داعي لتكرارها، فلا يصحُّ الإيمان إلاَّ البراءة من الشرك وأهله.

[المتن]

قال -رحمه الله-:

---

[35] [البقرة: ١٥٨].

[36] [الحج: ٢٩].

[37] [البقرة: ١٩٩].

[38] [البقرة:١٩٨].

[39] [الحج:٣٧].

رجاء الجنة لمن آمن بهذا الدين

فَإنْ مِتُّمَا عَلَى هَذَا الدِّينِ الذِي اصطَفَاهُ اللهُ وَاختَارَهُ وحَرَّمَ مَا سِوَاه، فَأرجُو أَن نَلتَقِي حَيثُ لاَ نَخافُ فُرقَةً، ولاَ نَتوَّقعُ إزَالَةً. ويعلَمُ اللهُ تعالى شوقِي إلَى ذَلك وَحِرصِي عَلَيهِ، كَمَا يَعلَم إشفَاقِي مِنْ أنْ تَزِلَّ بأحَدِكُما قَدمٌ، أَو تَعدِلَ بِه فِتنةٌ، فَيَحِلَّ عَلَيهِ مِنْ سَخَطِ اللهِ تَعَالىٰ مَا يُحِلُّه دَارَ البَوارِ، وَيُوجِب لَه الخُلُودَ فِي النَّارِ، فَلاَ يَلتَقِي مَعَ المؤمِنينَ مِنْ سَلَفِهِ، وَلاَ ينفَعُه الصَّالِحُون مِنْ آبائِه يَومَ لاَ يُغنِي ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

[الشرح]

يوصي بنيه أو ابنيه -رحمهما الله، ورحمنا معه وجميع المسلمين-، بأن يثبُتَا على هذا الدِّين، والثبات على الدِّين هو رأس المال والمكسب، وهو الدِّين الذي لا يقبل الله دينًا سواه، قال الله تعالىٰ: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ**﴾[40]، وقال جلَّ وعلا: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[41]، ذلكم الدِّين القيِّم الذي لا يقبل الله دينًا سواه، ويبيِّن لابنَيْه أنَّهما متى ثبتا على هذا الدِّين؛ فازا بجنَّات النَّعيم، وفازا برضا رب العالمين، ومن رضي الله عنه أدخله جنَّته، ومن أدخله جنَّته فإنَّه لا يضلُّ ولا يشقى، ولا يموت ولا يعرى، ولا يضحى ولا يظمأ؛ بل هو في سعادة أبديَّة سرمديَّة لا نهاية لها خالدين فيها أبدًا.

و ذكر-رحمه الله– شوقه إلى اللِّقاء بأحبابه في ذلك المكان، وهو الشَّوق إلىٰ لقاء الله -سبحانه وتعالىٰ-، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله ، أَحَبَّ لِقَاءَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله ، كَرِهَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَاءَهُ**))[42]، وقال صلى الله عليه وسلم -في الدُّعاء المشهور الذي يُقال في نهاية التشهُّد الأخير الذي جاء فيه، لعلِّي أذكره كلَّه-: ((**اللَّهُمَّ بعلمِك الغَيب، وقُدرتِكَ علَى الخَلق، أحيِني مَا علِمتَ الحَياةَ خَيرًا لِي، وتوفَّني إذَا علِمت الوَفاةَ**

[40] [آل عمران:١٩].

[41] [آل عمران:٨٥].

[42] رواه البخاري: (٦٠٢٧)، ومسلم: (٤٨٤٤).

خيرًا لِي، اللهمَّ إنِّي أسأَلُكَ خَشيَتَك فِي الغيبِ والشَّهادَة، وأسأَلُكَ كَلِمَة الحقِّ فِي الغَضبِ والرِّضَا، وأسأَلُكَ القَصدَ فِي الفَقرِ والغِنَى، وأَسأَلُكَ نَعِيمًا لاَ ينفَد، وأسأَلُكَ قُرَّةَ عَينٍ لاَ تنقَطِع، وأسأَلُكَ الرِّضَا بَعدَ القَضَاء، وَأسأَلُكَ بردَ العيشِ بَعد المَوت، وأسأَلُكَ لذَّة النَّظرِ إلَى وَجهِك، والشَّوقَ إلَى لِقَائِكَ -وهذا هو الشَّاهد-، فِي غَيرِ ضرَّاءَ مُضِرَّة، ولاَ فِتنةٍ مُضِلَّة، اللهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الإِيمَان واجعَلنَا هُدَاةً مُهتَدِين))[43].

فإذن لابدَّ من الحرص على ذلك، فكما أنَّه حريصٌ على ذلك، يرجو أن يلقى أبناءه على هذه الحال، ويُحذِّرهم من الحال المضادَّة التي تورد أصحابها دار البوار، وتوردِهم جهنَّم وبئس القرار، وتُبعدهم عن مغفرة العزيز الغفَّار، نعوذ بالله وإيَّاكم من هذا المصير الذي هو بئس القرار.

فعلينا أن نتأسَّى بهذه الوصيَّة، وأن نحرص على كلِّ ما من شأنه أن يُوصلنا إلى مرضاة الله -جلَّ وعلا-، وإلى جنَّات النَّعيم، وأن نبتعد عن كلِّ عمل يُبعد عن الله، ويُبعد عن الجنَّة، ويُبعد عن مرضاة الله -عزَّ وجلَّ-، على المسلم أن يقتنص كلَّ فرصة وكلَّ غنيمة تقرِّبه إلى الله -جلَّ وعلا-، فمن جدَّ وجد، ومن زرع حصد، **﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[44].

[المتن]

قال –رحمه الله-:

أقسام الوصية

وَتَنقَسِم وَصِيَّتِي لَكُمَا قِسمَين:

[43] أخرجه: وأحمد (٤/٢٦٤ ، رقم ١٨٣٥١) ، والنسائى (٣/٥٤ ، رقم ١٣٠٥)، وصححه الألباني.

[44] [المزمل:٢٠].

فَقِسمٌ فيمَا يَلزَمُ مِن أَمرِ الشَّرِيعَة، أُبيِّنُ لَكُمَا مِنهُ مَا يجِبُ مَعرِفَتهُ، وَيكُونُ فِيهِ تَنبيهٌ عَلَى مَا بَعدَهُ.

وَقِسمٌ فِيمَا يجِبُ أَن تَكُونَا عَليهِ فِي أَمرِ دُنيَاكُما، وَتجرِيَان عَليهِ بينَكُما.

[الشرح]

بيَّن -رحمه الله- أنَّ وصيَّته على قسمين -لابنَيه-:

القسم الأول: ما يتعلق بأمر الآخرة، وما يجب أن يفعلوه، وما يقرِّبهم إلى الله -جلَّ وعلا- من فعل المأمورات وترك المحظورات من السير على هدي النبي صلى الله عليه وسلم، واتّباع السَّلف الصَّالح، والبعد عمَّا يُخالف ذلك من أمور الآخرة، التي هي حقيقةً امتثال الأوامر واجتناب النَّواهي التي تقرِّبُ إلى الله -جلَّ وعلا-.

والقسم الثَّاني: ما يتعلق بأمور الدنيا، وتنتج عنها سعادة أيضًا في الآخرة، إذا اتَّقوا الله -تبارك وتعالىٰ- في هذه الحياة الدُّنيا، واتَّخذوها مطيِّة إلى الآخرة ﴿**فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾[45].

فعلى المسلم أن يُعنى بأمر آخرته فلا يُؤثر عليها الحياة الدنيا، ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ**﴾[46]، ولا بأس أن يُعنى بأمور الدُّنيا المباحة، ويتَّخذها مطيِّة إلى الآخرة؛ ولذلك قال -بعد هذه الجملة في الآية الكريمة-: ﴿**وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾[47].

** ** ** ** ** ** ** **

[45] [التوبة:٣٨].
[46] [القصص:٧٧].
[47] [القصص:٧٧].

الأسئلة

أحسن الله إليكم وبارك فيكم ونفعنا بما سمعنا، وجعله في ميزان حسناتكم.

هذا سائل يقول: شيخنا نحبّك في الله ونُشهِد الله على ذلك، ونرجو منكم أن تخصّونا بالدّعاء بالمغفرة والثّبات

الشيخ: أحبَّكم الله وغفر لنا ولكم وجميع المسلمين.

السؤال:

يقول: نرجو من شيخنا أن يسمِّي لنا هذا الدَّاعية بالشِّرك، من أجل أن نَحْذَرَهُ ويَحْذَرَ النَّاس منه.

الجواب:

لعلَّ من الأسلوب الأولى للدَّعوة أن لا يُسمَّى في هذا المقام، ولو لقيتني في الخارج سمَّيته لك؛ ولكن أشرطته منتشرة.

** ** ** ** ** ** ** **

السؤال:

سؤال عبر الشبكة من المغرب، يقول ما رأي فضيلتكم في كتاب (صيد الخاطر) لابن الجوزي؟

الجواب:

الكتاب كما تعلمون فيه فوائد، وفيه شطَحات، لا يقرؤه إلاَّ طالب علم متمكِّن، (صيد الخاطر) لـــ "ابن الجوزي" فيه فوائد، وفيه شطَحات وهي كثيرة، فلا ينبغي أن يقرأه إلاَّ طالب علم متمكِّن، يأمن على نفسه التضرُّر بتلك الشطحات.

** ** ** ** ** ** ** **

السؤال:

أحسن الله إليكم، يقول: عندي تهاون في صلاة الجماعة، عندما أنام خصوصًا، فما نصيحتكم وتوجيهكم لي؟

الجواب:

نصيحتي لك أن تتَّقي الله -عزَّ وجلَّ- في صلاتك، وأن تعلم أنَّ صلاة الجماعة فرض عينٍ على كلِّ مسلم عاقل بالغ ذكر مكلَّف، والتَّهاون في صلاة الجماعة خطيرٌ جدًا، وقد همَّ النبي صلى الله عليه وسلم أن يُحرِّق بيوت الذين يتخلَّفون عن صلاة الجماعة، همَّ أن يُحرِّق عليهم بيوتهم بالنّار، ولم يعذر الرَّجل الأعمى الذي لم يجد قائدًا، مع ما ذكر من أنَّ المدينة كثيرة الهوام، قال له: ((**أَتَسْمَعُ النِّدَاء، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَلاَ أجدُ لَكَ رُخْصَةً**))[48] وصحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: ((**من سَمِعَ النِّدَاء ثُمَّ لَم يأتِهِ، فلاَ صَلاَةَ لَهُ إلاَّ مِن عُذرٍ**))[49]، وقال عبد الله بن مسعود: "ولَقَد رَأيتُنَا ومَا يَتخلَّفُ عَنهَا إلاَّ مُنَافِقٌ مَعلُومُ النِّفَاق"؛ أي: عن صلاة الجماعة، ولا يغرنَّك بعض التساهل أو بعض الفتاوى التي تقول إنها مجرد سنَّة.

«فَليسَ كلُّ خِلاَفٍ جَاءَ معتَبَرًا ... إلاَّ خِلاَفٌ لَهُ حَظٌّ مِنَ النَّظرِ»

وأقترح عليك الابتعاد عن البيئة التي تُسبِّب لك هذا الكسل، وأقترح عليك اختيار الرُّفقة الصَّالحة الذين يُعينونك على الخير ((**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ المِسكِ ونَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسكِ إمَّا أن تَبتَاعَ مِنهُ، وإمَّا أَن يُحذِيَك، وإمَّا أن تَجِد مِنهُ رِيحًا طَيِّبة، ونافِخُ الكِيرِ إمَّا أَن يُحرِقَ ثِيَابَك، وإمَّا أن تَجِدَ مِنهُ رِيحًا خَبيثَةً**))[50]، كما أقترح عليك قراءة كتب التّرغيب والتّرهيب الصحيحة وتذكُّر الآخرة دائمًا، وتذكَّر بأنَّك إذا نمت عن تلك الصَّلاة، عن صلاة الفجر أو عن صلاة الجماعة ربما كانت تلك النومة هي النّهاية لك فتكون سوء خاتمة، تنبَّه لهذا. نسأل الله لنا ولك الثّبات على الحق.

---

[48] رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وقال الألباني: حسن صحيح. انظر صحيح الترغيب والترهيب: ٤٢٩.

[49] رواه أبو داود، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١١٢٤٦.

[50] رواه البخاري ومسلم.

** ** ** ** ** ** ** **

السؤال:

أحسن الله إليكم، سؤال عبر الشبكة من الجزائر، يقول: هل يجوز العمل مع من يُشكُّ في حِلِّ ماله؟

الجواب:

الأَولىٰ هو البعد عنه، وخصوصًا إن كان من المسلمين، لأنَّ العمل معه ربما يكون إعانة له على فعل وأكل الحرام، وأقترح أن تكتب سؤالك مفصَّلاً بطبيعة هذا العمل، للجنة الدَّائمة للإفتاء، لعلَّهم يفصِّلون لك القول في ذلك.

** ** ** ** ** ** ** **

السؤال:

أحسن الله إليكم، يقول ما حكم من لم يستطع غسل رجليه عند الوضوء، وهل يكفيه صبُّ الماء عليهما ؟

الجواب:

إذا كان ذلك لعجز جسدي و لم يجد من يغسلهما له، فيصب الماء حتَّى يغلب على ظنِّه أنّه قد غسل رجليه، ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾[٥١]، وأقترح عليه إذا كان ذلك نتيجة لعجز أن يتوضّأ وضوءًا كاملاً ثمّ يلبس خفًّا أو جوربًا، ويمسح عليه يومًا وليلة إن كان مقيمًا، وثلاثة أيّام بلياليهنَّ إن كان مسافرًا، فإنَّ في ذلك تيسيرًا عليه.

** ** ** ** ** ** ** **

السؤال:

يقول ما حكم مصافحة النساء؟

الجواب:

[٥١] [التغابن:١٦].

حكم مصافحة النّساء محرَّمة، الأجنبيَّات وهنَّ كلُّ من يحلُّ لك نكاحها ولو بعد حين؛ يعني ولو بعد طلاق بعض النِّساء القريبات منها، ولو كانت خالتها -خالة زوجتك- أو عمَّتها؛ لأنَّها تحلُّ لك في حال فراقك لتلك المرأة وانتهاء عدَّتها، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: **((لأَن يُطعَن أحدكُم بمِخيَطٍ فِي رَأسِهِ، خيرٌ لَهُ مِن أَن يَمسَّ امرأَةً لاَ تحِلُّ لَه))**[٥٢] ولَّما جاء المؤمنات يبايعنه، وطلبت إحداهنَّ منه أن يمدُّ يده ليُصافحها قال لها: **((إنِّي لاَ أُصَافِحُ النِّسَاء** -وهذا تشريع لأمَّته- **وَإنَّ قَولِي لِإحدَاكُنَّ كَقولِي لِمِئةِ امرأَة))**[٥٣].

فإيَّاك يا عبد الله! وإيّاكِ يا أمة الله! أن تغلِب عليكما العادات والأعراف، والمجاملات في هذا الباب؛ لأنَّ البعض من النَّاس يقول نحن هذه عادة لا نستطيع التخلَّص منها، فابنة عمِّي، وابنة خالي، وابنة خالتي يغضبن إذا لم أُصافحهنَّ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **((مَن أَرضَى اللهَ بِسخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنه وَأَرضَى عَنهُ النَّاس، ومَن أَسخَطَ اللهَ بِرِضَى النَّاس سَخِطَ اللهُ علَيه، وَأَسخَطَ عليهِ النَّاس))**[٥٤]. فإيَّاك أن ترضي النّاس بسخط الله.

وإنَّ المصافحة طريق المُسافحة، وبداية للمُسافحة، كيف ترضى يا عبد الله! أن يضع رجل أجنبي يده في يد زوجتك أو ابنتك أو أختك أو أمَّك، أو من لك ولاية عليها بحكم العادة، وتنظر إليها وهو يهشُّ يدها، ويهزُّ يدها وكأنَّ الأمر لا يعنيك؟! أين غيرتك يا عبد الله؟! والأدهى من ذلك وأمر أنَّ البعض منَّا مصاب بالتقليد الأعمى والتشبه بالكفَّار، فإذا جاءه ضيفٌ عزيز عليه أوَّل ما يقدِّم له زوجته، ويقول بلغة الإفرنج: المدام تريد تسلِّم عليك -والعياذ بالله- المدام تريد تسلِّم عليك، زوجته! باللغة لا أدري هل هي الفرنسية أم غيرها، المهم يعني هذا من التبعية ومن الخنوع ومن التشبه، ومن تشبَّه بقومٍ فهو منهم. فاتَّقوا الله عباد الله، واتركوا هذه العادات فإنَّها عادات جاهليَّة.

** ** ** ** ** ** ** **

---

[٥٢] رواه الطبراني والبيهقي، وقال الألباني: حسن صحيح في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم: ١٩١٠.

[٥٣] رواه أحمد، ومالك وغيرهما وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٥٢٩.

[٥٤] رواه ابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم: ٢٢٥٠.

السؤال:

نختم بهذا السؤال -عبر الشبكة- من الجزائر؛ تقول السائلة: تقدَّم لخطبتي رجل من المشتغلين بالرُّقية، ولكنَّ طريقته في الرُّقية فيها غرابة، وهي أنَّه يضع السِّواك على رأس المرقي ويبدأ بالرُّقية، ويقول أنا سنِّي ولست بسلفي، فما رأي فضيلتكم في الارتباط به؟

الجواب:

هذا الرَّاقي ارتكب بدعتين، وأحذِّركم من كثير من الرَّقاة، فإنَّ كثيرًا منهم ليسوا على هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وإنَّ من يتخِّذ الرُّقية مهنة فهو مبتدع، من اتَّخذ الرُّقية مهنة فهو مبتدع، كلمة أتقرَّب بها إلى الله؛ لأنَّ هذا لم يثبت عن السَّلف، وأمَّا من طلب منه أخوه أن يرقيه فـ**((مَن استَطَاعَ أَن يَنفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنفَعْهُ))**[٥٥] كما قال الصّادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

ومن بدع الرُّقاة: الرُّقية الجماعيَّة، ومن بدع الرُّقاة ومعاصيهم: دعوة النِّساء إلى كشف وجوههنَّ من أجل أن يتفُل عليها مباشرة، ومن خرافات الرُّقاة: إحضار جلود الذِّئاب، أو إحضار شخص يُدَّعى أنَّ فيه جنيًّا صالحًا مسلمًا يُساعد على إخراج الجنِّ: كلُّ هذه خرافات ما أنزل الله بها من سلطان.

أمَّا هذا الرَّاقي الذي تشيرين إليه يا أختي السَّائلة! فعنده مخالفتان:

المخالفة الأولى: وضعه السِّواك على رأس المريض أو المريضة، فإنَّ الرَّاقي يمكن أن يرقي دون أن يضع شيئًا لا يده ولا غير يده على جسم المريض.

وثانيًا: التي هي أعظم منها، قوله إنَّه سنِّيٌّ وليس بسلفي؛ هذا قول متناقض، السنِّي يا مسكين! هو السلفي، والسلفي هو السنِّي، ومن فرَّق بينهما فقد فرَّق بين المتماثلين، فالسلف هم أهل السنَّة، والسلفيُّون هم أتباع السنَّة، ومن تبرَّم ذلك فليس بسنِّي ولا سلفي، وكون البعض من النَّاس يدَّعي السلفيَّة وهو لا يمثّلها لا يبرِّر لك أن تتبرَّأ من السلفيّة؛ بل يجب عليك

[٥٥] روا مسلم: ٤٠٧٦.

أن تتشرَّف باعتزائك إلى السلف وإلى منهج السلف، فإنَّ الاعتزاء إل ذلك واجب، وأهل السنَّة والسَّلف وأتباع السلف، والفرقة النَّاجية، والطائفة المنصورة، والجماعة، والسلفي، والسنِّي، هذه تعني مسمًّىً واحدًا، هم الجماعة، هم من كان مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

فكن سلفيًّا على الجادَّة، كن سلفيًّا على الجادَّة كما قال السلف، سلفيًّا معتزيًا إلى منهج السلف قولاً وعملاً واعتقادًا، وأظنُّ أنَّ من تشدَّق بهذا الكلام بعيدٌ كلَّ البعد عن المنهج السنِّي الذي هو المنهج السلفي، فابتعدي عنه ولا تقبليه إلاَّ أن يتوب إلى الله من هذه الكلمات.

وفَّق الله الجميع للعلم النَّافع والعمل الصَّالح، وإلى لقاء الغد -إن شاء الله-، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

** ** ** ** ** ** ** **

المجلس الثاني

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله وسلَّم وبارك وأَنعم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

هذا هو الدَّرس الثَّاني من كتاب (أبي الوليد الباجيِّ) -رحمه الله- وصيَّتِه لابنيه، ونبدأ بتقسيم هذه الوصيِّة.

[المتن]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

فيقول الشيخ الفقيه الإمام الحافظ: أبو الوليد سليمان بن خلف الباجيِّ -رحمه الله وغفر له ولشيخنا ولنا وللمسلمين- في وصيَّته لولديه.

أقسام الوصيّة

فأمَّا القسم الأول:

التصديق بأركان الإيمان: فالإيمانُ باللهِ -عزَّ وجلَّ- ومَلاَئكَتِه وَكتبِهِ ورُسُلِه، وَالتَّصدِيقِ بشَرَائِعِه؛ فَإنَّه لاَ ينفعُ مَعَ الإخلاَلِ بِشيءٍ مِن ذَلِك عَمَل، وَالتمَسُّكُ بكِتَابِ اللهِ تعَالَى جَدُّه.

[الشرح]

الوصيَّة الأولىٰ بيَّن المصنِّف –رحمه الله– لابنيه أنها تتعلَّق فيما بينهم وبين الله، وفي أمور الدِّين؛ وهي الإيمان، وأساسها الإيمان بالأركان الستَّة وذكر منها ثلاثة والباقية تدخل تبعًا؛

ذكر منها الإيمان بالله والملائكة والكتاب أو الكتب والرُّسل، ويشمل ذلك ضمنًا الإيمان باليوم الآخر، وكذلك الإيمان بالقضاء والقدر، وهذه الأركان هي أساس الإيمان كلّه، وأساس الدِّين كلّه، فمن جحد أحدها بَطُلَ إيمانه وأصبح لاغيًا.

فالإيمان بالله يشمل الإيمان به ربًّا، والإيمان به إلهًا ومعبودًا.

الإيمان به ربًّا كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[٥٦]، والإيمان به إلهًا ومعبودًا كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[٥٧]، والإيمان بأسمائه وصفاته، كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿**الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾[٥٨].

وتَبيَّن بهذه الأدلّة أنَّ سورة الفاتحة شاملةٌ لأنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصِّفات، فيجب على العبد إفراد الله تعالى بذلك كله، إفراده بالإيمان بربوبيَّته وألوهيَّته، ويشمل ذلك الإيمان بقضائه وقدره والإيمان بأسمائه وصفاته.

ثمَّ الإيمان بملائكته؛ وهو الإيمان بجميع الملائكة، الإيمان بمن ذُكرت أسماؤهم تفصيلاً، والإيمان ببقيَّتهم إجمالاً، وممَّن جاء ذكره وثبت في الكتاب والسُنَّة: "جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالكٌ خازن النَّار"، فهذه قد جاءت في القرآن الكريم، وممَّا جاء في السنَّة: (مُنْكَرٌ ونَكِير)، ولم يرد فيما أعلم أسماء أخرى؛ ولذلك نؤمن بجميع الملائكة، ومنهم الحَفظة الكرام الكاتبون والكتَبة، ومنهم ملائكة الرَّحمة، ومنهم ملائكة العذاب، ومنهم ملك الموت، وكلٌّ من خلق الله من الملائكة، نؤمن بمن ثبت اسمه على وجه التَّفصيل، ونؤمن ببقيَّتهم على وجه الإجمال.

ونعلم أنَّهم عبادٌ مكرمون، وأنَّهم ﴿**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[٥٩]، وأنَّهم ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[٦٠]، وأنَّ منهم الموكَّلون بالرِّياح،

---

[٥٦] [الفاتحة:٢].
[٥٧] [الفاتحة:٥].
[٥٨] [الفاتحة:٣].
[٥٩] [التحريم:٦].
[٦٠] [النحل: ٥٠].

ومنهم الموكَّلون بالأمطار، ومنهم الموكَّلون بالأرزاق، ومنهم ...ومنهم...ومنهم...، فنؤمن بذلك كلِّه، منهم النَّازِعات غرقًا، وَالنَّاشطات نَشطًا، والسَّابِحات سبحًا، وكذلك السَّابِقات سَبقًا وَالْمدَبِّرات أَمرًا، ومنهم الذَّاريات ذَروًا، فَالْجارِيات يسرًا، فَالْحاملات وِقْرًا، فَالْمُقَسِّمات أَمرًا، ومنهمَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا، ومنهم سائر الملائكة الذين خلق الله -تبارك وتعالىٰ- من نور.

ويشمل ذلك الإيمان بالكتب، وقد سُمِّيت منها أربعة: القرآن، والتَّوراة، والإنجيل، والزَّبور، وكذا صحف إبراهيم وموسى، ونؤمن بما وراء ذلك إجمالاً.

كما نؤمن بالرُّسل، وقد سمَّى الله منهم خمسة وعشرين؛ منهم ثمانية عشر في سورة (الأنعام)، وجملة في سورة (النَّساء)، ونؤمن بهم بمن سمَّي منهم تفصيلاً ومن لم يسمَّ إجمالاً، وعدد الرُّسل منهم ثلاثمئة وبضعة عشر، والأنبياء أربعة وعشرون ألفًا، كلٌّ ذلك نؤمن به و﴿**لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**﴾[٦١].

كما نؤمن باليوم الآخر والمقدِّمات ابتداء من أمارات السَّاعة، إلى نعيم القبر وعذابه، إلى البعث والنُّشور، والميزان، والكتاب والصُّحف، والصِّراط، والحوض، والجنَّة والنَّار، وما أعدَّ الله للمتَّقين من خير، وما أُعدَّ للمجرمين من عذاب: كلٌّ ذلك نؤمن به، ما علمنا منه تفصيلاً أثبتناه، وما لم نعلمه آمنَّا به كلٌّ من عند ربِّنا.

كما نؤمن بالقدر خيره وشرِّه من الله تعالى، وأنَّ كلَّ شيء يجري بقضاء الله وقدره، وأنَّه لا رادَّ لقضائه ولا معقِّب لحكمه، وأنَّ مراتبه أربعة:

- **العلم السَّابق لكلِّ شيء:** علم الله الشَّامل، فهو يعلم ما كان وما يكون، ومن لم يكن لو كان كيف يكون، وأنَّه لا يحيط أحد بشيء من علمه، ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾[٦٢]، ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾[٦٣].

---

[٦١] [البقرة:٢٨٥].
[٦٢] [يوسف:٧٦].
[٦٣] [طه:١١٠].

● **والكتابة:** بأن نؤمن أنَّ الله كتب الأشياء قبل كونها، وأنَّه -سبحانه وتعالىٰ- كتب ذلك كلَّه في اللَّوح المحفوظ قبل أن يخلق السَّماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال تعالىٰ: **﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾**[٦٤]، وقال تبارك وتعالىٰ: **﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾**[٦٥]، وقال -جل وعلا-: **﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾**[٦٦] وقال تعالىٰ: **﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾**[٦٧].

● **والمرتبة الثالثة: المشيئة**؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يخرج شيءٌ عن مشيئة الله -جلَّ وعلا-: **﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾**[٦٨]، **﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾**[٦٩].

● **والمرتبة الرّابعة: الخلق وفق تلك المشيئة، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾**[٧٠] **﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾**[٧١].

هذه خلاصة أركان الإيمان وأدلَّة وجوب الإيمان بها، ومن جحد أحدها فلا قيمة لإيمانه ولو أقرَّ بالباقي.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

---

[٦٤] [الحديد: ٢٢].
[٦٥] [البروج: ٢٢].
[٦٦] [الرعد: ٨].
[٦٧] [الرعد: ٣٩].
[٦٨] [البروج: ١٦].
[٦٩] [التكوير: ٢٩].
[٧٠] [الفرقان: ٢].
[٧١] [القمر: ٤٩-٥٠].

حِفْظُ القُرْآنِ وَالْعَمَلُ بِهِ، والمُثابَرَةُ عَلَى حِفظِه وتِلاوَته، وَالمواظَبَةُ عَلَى التفكُّرِ في مَعَانيهِ وآيَاتِه، وَالامتِثَالِ لأَوَامِرِه، وَالانتِهَاءِ عَن نوَاهِيه وزَوَاجِرِه.

[الشرح]

ثُمَّ ذكر بعد هذا الإجمال في مسائل الإيمان، ذكر أهمية حفظ القرآن الكريم، وتعاهده والعناية به، وتلاوته حقَّ تلاوته، والعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه، وتدبُّره وتأمُّله، قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا**﴾[٧٢] وقال جلَّ وعلا: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**﴾[٧٤]، وقال جلَّ وعلا: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[٧٥]، وقال جلَّ وعلا: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[٧٦].

كتاب الله -جلَّ وعلا- الذي نَزَلَ به الرُّوح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، نؤمن بألفاظه ومعانيه، وأنَّه كلام الله الذي تكلَّم به حقيقة، وأنَّه كلام الله لفظه ومعناه، وأنَّه لا يشبه كلام المخلوقات، وأنَّه كلام الله منزَّل غير مخلوق، وأنَّ القرآن المتلوَّ كلام الله، وأنَّ القرآن المحفوظ في الصُّدور كلام الله، وأنَّ القرآن المكتوب في المصحف كلام الله. كلُّ ذلك يجب الإيمان به وتدبُّره وتأمُّله والعمل بما فيه، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**خَيرُكُم مَن تَعلَّمَ القُرآنَ وعلَّمَه**))، ويقول عليه الصلاة والسلام: ((**الذِي يَقرأُ القُرآنَ وهُوَ مَاهِرٌ به، فَهُوَ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرة، وَالذِي يَقرأُهُ وهُوَ يَتَتعتَعُ فِيهِ وهُو شَاقٌّ عَليهِ فَلَهُ أجرَان**)) أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

---

[٧٢] [النساء: ٨٢].

[٧٣] [محمد: ٢٤].

[٧٤] [ص: ٢٩].

[٧٥] [الحجر: ٩].

[٧٦] [فصّلت: ٤٢].

فهو كتاب الله العظيم الذي ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[٧٧] يجب تدبُّره وتأمُّله وحفظه والعمل به، وليس المراد مجرد تلحينه، أو إجرائه على المقامات الفلانيّة والفلانيّة كما هو جارٍ في هذا العصر، أو تلحينه ألحانًا يخرج به عن المألوف. نعم، يجب أن نزيِّن أصواتنا بالقرآن وأن نتغنَّى بالقرآن، كما أمرنا رسول القرآن محمد صلى الله عليه وسلم؛ ولكن ما يفعله بعض القرَّاء المتنطِّعين الذين يخرجون به عن طوره وعن وضعه، أشبه ما تكون قراءتهم بالأغاني التي يردِّدُها الماجنون والماجنات، فهذا ليس من تلاوة كتاب الله في شيء؛ بل أشبه ما يكون بالأغاني.

فاتقوا الله أيُّها القرَّاء! واقرؤوه على الوجه الذي يرضي الله -عزَّ وجل- بلا تمطيط زائد، وبلا هذر يخلُّ بالمعنى، اجتهدوا في تلاوته، وتحبيره كما حبَّره الصَّحابة كما قال أبو موسى: "والله يَا رَسُولَ اللهِ لَو عَلمتُ لَحبَّرتُهُ لَكَ تَحبِيرًا" والمقصود تزيين الصَّوت به دون تكلُّفٍ وعناء.

ثمَّ العمل به ((**خَيرُكُم مَن تَعلَّمَ القُرآنَ وعَلَّمه**))[٧٨]، يقول أبو عبد الرّحمن السُّلمي التّابعي المشهور: "كَانَ الذِينَ يُقرِئُونَنا القُرآن: عُثمَان بنُ عفَّان، وزَيدُ بنُ ثَابِث، وأُبي بنُ كَعب لاَ يُجَاوِزُونَ بِنَا عَشرَ آيَاتٍ حَتَّى نَتعلَّم مَا فِيهِنَّ مِنَ العِلمِ والعمَل، فتَعلَّمنَا العِلمَ والعمَلَ جمِيعًا" أو كما قال –رحمه الله تعالى -.

فلنتعاهد القرآن بالحفظ والتِّلاوة فإنَّه أشدُّ تفصِّيًا وتفلُّتًا من الإبل من عقولها، نسأل الله أن يجعله حجَّةً لنا علينا، جاء في الحديث الطويل، حديث أبي مالك الأشعري جاء فيه: ((**وَالْقُرْآنُ حَجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**))[٧٩].

فاحرص -يا عبد الله!- أن لا تكون مهمَّتك في القرآن تلاوته في المآتم، والتشدُّق به في الحفلات، وفي المآتم، وفي الولائم، وفي الموالد البدعيِّة، فإنَّ ذلك كلَّه من البدع المحرَّمة التي ما

[٧٧] [فصلت: ٤٢].

[٧٨] أخرجه: البخاري ٦/٢٣٦ (٥٠٢٧).

[٧٩] رواه مسلم (١/٢٠٣ ، رقم ٢٢٣).

أنزل الله بها من سلطان، لم يُنزل القرآن لهذا، لم يُنزل القرآن لتجعله حُجُبًا لك في سياراتك وبيتك، ويُلبس للنساء الحوائض والنُّفساء ونحو ذلك، كلٌّ ذلك من الخرافات والبدع التي يُتلاعب فيها بكتاب الله -جلَّ وعلا-، ولم يُجعل القرآن ليستخدمه الرُّقاة للمتاجرة وأكل أموال النَّاس بالباطل.

فانتبه -يا عبد الله!- واعرف لماذا أُنزل القرآن، وما هو واجبك نحو هذا القرآن، اعتني به حقَّ العناية، واقرأ لوجه الله تعالى وأكثر من القراءة، ونظِّم وقتك بقراءة جزء على الأقل في كلِّ يوم، فإنَّه يُقال لمن يقرأ القرآن ويعتني به في درجات الجنَّة **((إقرَأ وارقَ ورَتِّل فإنَّهُ تنتهي بِكَ الدّرَجَات حَيثُ انتَهَيت مِنَ القِرَاءة))**[٨٠] أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فاحرصوا على كتاب الله -عزَّ وجل-، واعتنوا به حقّ العناية، وارعوا حقَّه حقَّ الرِّعاية، ولا يكن نصيبكم منه ترداد ألفاظه دون فهمٍ وفقهٍ لمعانيه.

اللهمَّ فقِّهنا وإيَّاكم في القرآن، اللهمَّ اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصَّتك يوم القيامة يا عزيز يا رحمٰن.

[المتن]

قال –رحمه الله تعالى -:

التمسك بالكتاب والسنة

رُوِيَ عَنِ النَّبي صَلّى الله عليه وسَلّم أنَّ قَالَ: ((تَرَكتُ فِيكُم مَا إِنْ تَمَسَّكتُم بِهِ لَن تَضِلُّوا بَعدِي: كِتَابَ اللهِ تعَالَى وَسُنَّتِي، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّواجِذ)) .

[الشرح]

[٨٠] عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **((يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا))**. أخرجه أحمد (٢/١٩٢، رقم ٦٧٩٩)، وأبو داود (٢/٧٣، رقم ١٤٦٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: ١٤٢٦.

من أعظم ما يحفظ الله به هذا الدّين، التمسُّك بكتاب الله -جلَّ وعلا- والاعتصام به، والاعتصام بهدي النَّبي صلى الله عليه وسلم، قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾[٨١]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[٨٢]، وقال جلَّ وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾[٨٣]، وقال جلّ وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾[٨٤]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ**﴾[٨٥].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((إنِّي تَارِكٌ فِيكُم أَمرَين لَن تَضِلُّوا مَا تمسَّكتُم بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وسُنَّتِي))** وغير ذلك من النُّصوص التي تأمر بالتمسُّك بحبل الله المتين، وصراطه المستقيم المتمثِّل في كتاب ربِّ العالمين، وسنَّة سيِّد المرسلين صلى الله عليه وسلم، فتمسَّكوا بذلك، وعضُّوا عليه بالنواجذ إلى أن تلقوا الله -سبحانه وتعالى-.

[المتن]

قال –رحمه الله -:

طاعة الرسول ومحبته

وَقَد نَصَحَ لَنَا النَّبيُّ صلَّى الله عَليه وَسلَّم وَكَانَ بالمؤمِنينَ رَحِيماً، وعَلَيهم مُشفِقًا، وَلَهُم نَاصِحًا، فَاعمَلاَ بِوَصيتِه، وَاقبَلاَ مِنْ نُصحِه، وَأَثبِتَا فِي أَنفُسِكُمَا المَحبَةَ لَه، وَالرِّضَا بمَا جَاءَ بِه،

[٨١] [آل عمران: ١٠٣].

[٨٢] [الحشر: ٧].

[٨٣] [الأنفال:٢٤].

[٨٤] [النّساء: ٥٩].

[٨٥] [الشّورى: ١٠].

وَالاقتِدَاءَ بِسنَّتِه، وَالانقِيَادَ لَه، وَالطَّاعَةَ لحُكْمِه، وَالحِرصَ عَلَى مَعرِفَة سُنَّتِه، وَسُلُوكَ سَبيلِه، فَإنَّ محبَّتَه تقُودُ إلى الخيْر، وَتُنجي مِنَ الهَلَكَةِ وَالشَرِّ.

[الشرح]

ثمَّ نبَّه المصنِّف -رحمه الله- على أهمِّية طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطاعة الرَّسول من طاعة الله، قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[٨٦]، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[٨٧]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[٨٨]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا﴾[٨٩]، فطاعة الرَّسول طاعة لله؛ لأنَّه مبعوث من عند الله وسنَّته وحيٌ من الله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٩٠]، ويقول صلى الله عليه وسلم: ((إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ))[٩١].

ومن ذلك: العمل بسنَّته ورفعها فوق الهام والرُّؤوس، وعدم التَّهاون بها، والجدُّ والاجتهاد في تطبيقها، قال عليه الصلاة والسلام: **((عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمسَّكُوا بِهَا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))**[٩٢].

فمن زعم أنَّه يؤمن بالقرآن الكريم، وهو لا يؤمن بالسنَّة فليس بمسلم، ولو ادَّعى الإيمان فبينه وبين الإيمان كما بين الثَّرى والثريَّا، فلابدَّ من الإيمان بالسنَّة والعمل بها، وتقديمها على كلِّ شيء، لاَ يَزالُ النَّاسُ بِخيرٍ مَا أحيوا السنَّة، يقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: **((لأجدُ**

---

[٨٦] [النّساء: ٨٠].
[٨٧] [محمد: ٣٣].
[٨٨] [التغابن: ١٢].
[٨٩] [النّساء: ٦٩].
[٩٠] [النّجم: ٣-٤].
[٩١] رواه أحمد: ١٦٧٢٣، وصححه الألباني في المشكاة: (١٦٣ و٤٢٤٧).
[٩٢] أخرجه أحمد (٤/١٢٦ ، رقم ١٧١٨٢) ، وابن ماجه (١/١٦ ، رقم ٤٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٢٧٣٥.

أَحدكُم عَلَى أَرِيكتِهِ يَقُولُ: مَا وَجدتُ هَذَا الأَمرَ فِي كِتَابِ اللهِ -جلَّ وعلاَ-))[٩٣]؛ أي: يُنكر السنَّة.

وجاءت امرأة إلى عبد الله بن مسعود قالت: إنّكم تَقولون بتحريم الوشمِ والوصلِ، وما إلى ذلك من الأمور، الواشمة والمُستوشمة، والواصلة والمُستوصِلة، والمتفلِّجَات للحُسن، ونحو ذلك، فقالت: أنها لم تجد ذلك في كتاب الله -جلَّ وعلا-، فقال لها عبد الله بن مسعود: "أمَا أَنَّكِ لَو قَرأتِيهِ لوَجدتِ"، قالت: قد قرأته فلم أجده، فقال لها: "ألم تَقرئِي قَولَ اللهِ تَعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[٩٤]، وقَد لَعَن رَسُولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلم الوَاشِمة والمُستوشِمة، والوَاصِلَة والمُستَوصِلَة، وَالنَّامِصَة والمُتنمِّصَة، والمتفلِّجَات للحُسن".

فانتبه -يا عبد الله!- تعظيم السُنَّة عظيم، وإيَّاكم من الطَّائفة التي تسمِّي نفسها بالطَّائفة القرآنيَّة، وتزعم أنَّها تؤمن بالقرآن فقط وتترك السنَّة؛ فهذه طائفة مارقة من الدِّين، لا يُنظر إليها ولا يُلتفت إليها؛ لأنَّها ليست بمسلمة؛ لأنّ من كفر بالسنَّة فليس بمسلم، ومن تهكم بالسنَّة واستهزأ بها وبمن يطبِّقُها فهو كافر ﴿**قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾[٩٥]، فعليكم بالسنَّة فإنَّه طريق الجنَّة.

ومن ذلك: محبَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم محبَّته على محبَّة من سواه بعد محبَّة الله -تبارك وتعالى-، قال عليه الصلاة والسلام: **((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُوْنَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ))**[٩٦] ويقول عليه الصلاة والسلام: **((ثَلاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ وَجدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَان -وذكر منها- أَن يَكُونَ اللهُ ورَسُولُه أحبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُمَ))**[٩٧]، وقال له

---

[٩٣] عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **((لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ))**. أخرجه: وأحمد (٦/٨ ، رقم ٢٣٩١٢) ، وأبو داود (٤/٢٠٠ ، رقم ٤٦٠٥) ، والترمذى (٥/٣٧ ، رقم ٢٦٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم : ٧١٧٢.

[٩٤] [الحشر: ٧].

[٩٥] [التوبة: ٦٥-٦٦].

[٩٦] رواه البخاري (١/١٤ ، رقم ١٥) ، ومسلم (١/٦٧ ، رقم ٤٤). والبخاري (١/١٤ ، رقم ١٥) ، ومسلم (١/٦٧ ، رقم ٤٤).

[٩٧] متفقٌ عليه: أخرجه البخاري ١/١٠ (١٦)، ومسلم ١/٤٨ (٤٣) (٦٧).

عمر بن الخطَّاب: ((**يَا رَسُولَ الله! إنَّكَ أحبُّ إليَّ مِن كُلِّ شَيءٍ إلاَّ من نَفسِي، فقال: لاَ يَا عُمر، حتَّى أكُونَ أحبَّ إليكَ مِن نَفسِك، قالَ: واللهِ يَا رسُول الله! لأنتَ الآن أحبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شيءٍ حتَّى مِن نَفسِي**))[٩٨].

أقول -يا عبد الله!-: إنَّ محبَّته تتمثَّل في طاعته، وتقديم أمره على أمر من سواه ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ**﴾[٩٩]، وليس المراد بمحبَّته الترنُّم بالقصيدة البوصيريَّة الشركيَّة التي فيها (يا أكرم الخلق) ونحو ذلك: (يَا أكرَمَ الخلقِ مَالِي مَن ألُوذُ بِهِ سوَاكَا)

والتي فِيهَا: «وإنَّ مِن جُودِكَ الدُّنيَا وضَرّتَها .. ومِن عُلُومِكَ عِلمُ اللَّوحِ والقلَمِ»!!

وغير ذلك من الشِّرك الصُّراح الذي تشتمل عليه هذه القصيدة، فاحذر -يا عبد الله!- من مثل هذه القصيدة الشركيِّة وما شاكلها.

ليست محبَّته بأن نبتدع في دينه، أو أنْ نحتفل بمولده الشَّريف، فمولده لاشكَّ أنَّه أمرٌ عظيم وحدثٌ جسيم، ولكن ليس من المسلَّم الاحتفال به لعدم ثبوت ذلك عنه صلَّى الله عليه وسلَّم ولا عن أحدٍ من أصحابه، ومحبَّته الحقيقيَّة تتمثَّل في أن تمثَّل بسيرته صباحًا ومساءً، وسرًا وجهارًا، وفي كلِّ لحظة من لحظات حياتك إلى أن تلقى الله -عزَّ وجلَّ- لا تخطو خطوة إلاَّ وفق سيرة وهدي وسنَّة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

أمَّا إقامة الأعياد الجاهليَّةِ والموالد والحفلات فليس ذلك من سيرته في شيء؛ بل هي بدعة منكرة سواء أقيمت في ربيع أو في رجب أو في شعبان أو في غير ذلك من البدع التي يحييها كثير من المرتزقة، وأكلة أموال النَّاس بالباطل، فاحذروا من هذه الخزعبلات، والخرافات.

وأعظم من ذلك كلَّه وأدهى وأمر الطَّامة الكبرى؛ وهي: اعتقاد أصحاب الموالد أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم يحضر تلك الموالد ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾[١٠٠]، لن يخرج من قبره قبل البعث، ولن يحضر مولدك ولا مولد زيد ولا عمرو، ولن

---

[٩٨] رواه البخاري: ٦١٤٢.

[٩٩] [آل عمران: ٣١].

[١٠٠] [الكهف: ٥].

يحضر عيدك ولا حفلتك؛ بل هذا هُرَاء من تلبيس إبليس ومن تزيين الشّيطان، وأيمُ الله! وأقسم بالله وتالله! إنَّ هذا هو الكذب الصُّراح، والدَّجل والسَّفه، وقلَّة الحياء مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم.

الرَّسول يحضر الهذيان والغناء والطَّبل والزَّمر؟! أما تستحي يا مسكين! أما تستحي من الله، أما تستحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تزعُم أنَّه يحضر الرَّقص والغناء، الذي تترنَّمُ به عندما تُحيي تلك الموالد الجاهليَّة ﴿**إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ**﴾[101] ((**من أحدثَ فِي أمرِنَا هذَا مَا ليسَ منهُ فَهوَ ردٌّ**)).

الرّسول لا يحضر الهوهوة، ولا الحَوحَوة، ولاَ العُواء، ولا الصِّياح، ولا الصُّراخ، إذا كنت منهيًّا عن رفع صوتك فوق صوته، فكيف تسمِّي هذا الصوت المُنكَر تعظيمًا للنبي صلى الله عليه وسلم؟! والطَّبل والزمر والصِّياح، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾[102].

فاتقوا الله! يا من تسمعونني عبر الشبكات، أو عبر بعض الفضائيَّات، اتّقوا الله! وبلِّغوا من وراءكم بأنَّ تلك الحفلات التي يقيمها كثيرٌ من المسلمين بدعوى المولد أو غيره حفلات باطلة لم يفعلها الصَّحابة، لم يفعلها الخلفاء الرَّاشدون، لم يفعلها الأئمّة في القرون المفضَّلة، لم يفعلها إلاَّ العُبيدِيُّون اليهود والمجوس، والباطنيَّة الرَّافضة الذين سمُوا بالفاطميِّين ظلمًا وعدوانًا، وزورًا وبهتانًا، بعد أكثر من أربعمئة سنة، فاتَّخذوها سنَّة وهي هدم للسنَّة.

احترام النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه يقتضي منك أن تُفني عمرك وحياتك إلى أن تختمها بحبِّه وتعظيمه، واللَّهَجِ بالصَّلاة والسَّلام عليه وفق سنَّته صلى الله عليه وسلم هذا هو

[101] [المدثر: ٣٥].
[102] [الحجرات: ٢].

الحق الذي يجب اتِّباعه، وما خالفه فهو الباطل ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**﴾[103].

[المتن]

قال –رحمه الله تعالىٰ-:

محبة الصحابة

وَأشْرِبا قُلوبَكُما محبَّةَ أَصحَابِهِ أَجمَعِين، وَتَفضِيلَ الأَئِمَّةِ مِنهُم الطَّاهِرِين: أَبي بَكرٍ وَعُمَر وعُثمَانَ وَعَلِي -رضيَ اللهُ عنهم -، وَنَفعَنا بمَحبَّتِهم، وَألزِمَا أنفُسَكُما حُسْنَ التَّأويلِ لما شَجَرَ بَينَهم، وَاعتِقَادَ الجَمِيلِ فِيمَا نُقِلَ عَنهُم؛ فَقَد رُوِيَ عن النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم أَنَّه قَال: ((لاَ تَسُبُّوا أصحَابِي، فَوَالذِي نفسي بِيَدِه لَو أَنفقَ أَحَدُكُم مِثْلَ أُحُدٍ ذَهبًا، مَا بَلَغ مُدَّ أَحدِهِم وَلاَ نَصِيفَه))[104]. فَمَن لا يُبلَغُ نَصِيفُ مُدِّهِ مثل أُحُدٍ ذهبًا، فَكَيفَ يُوَازَنُ فَضلُه، أو يُدْرِكُ شَأوُه؟! وَلَيسَ مِنهُم -رَضِي الله عَنهُم- إلاَّ مَن أَنفَقَ الكَثِير.

[الشرح]

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الصَّحابة: جمع صحابي، والصَّحابي هو من لقي النَّبي صلى الله عليه وسلم مؤمنًا ومات على ذلك، حتَّى ولو تخلَّلت ذلك ردَّة ثمَّ عاد إلى الإسلام في أصحِّ أقوال أهل العلم، كما رجَّح ذلك المحقِّقون من أهل العلم مثل: الحافظ بن حجر –رحمه الله– وغيره من أهل العلم، هؤلاء هم الصَّحابة وهو يربون على مئة وعشرين ألفًا.

فعلينا أن نجلَّهم وأن نحترمهم، وقد أثنى الله عليهم في كتابه في آيات كثيرة، قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿**لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ**

---

[103] [الرعد: ١٧].

[104] رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠، و٢٥٤١).

وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[١٠٥]، من هؤلاء الأوَّلين؟ المهاجرون. **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾**[١٠٦] من هؤلاء؟ الأنصار، **﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[١٠٧]، من هؤلاء؟ من جاؤوا بعد المهاجرين والأنصار، سواءٌ من أسلم قبل الفتح، ومن أسلم بعد الفتح، **﴿وَكُـــلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى﴾**[١٠٨].

وقال تعالى مُثنيًا عليهم: **﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾**[١٠٩]، وقال مترضّيًا عن أصحاب الشَّجرة، وهم يربون على ألف وخمسمئة: **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾**[١١٠] إلى غير ذلك من الآيات، فهم رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم قام القرآن، وبه قاموا، وبهم نطق القرآن وبه نطقوا، بهم نصر الله السُنَّة، بهم فتح الله البلاد، بهم فتح الله قلوب العباد، بهم دخل النَّاس في دين الله أفواجًا، بفضلهم بعد فضل الله -سبحانه وتعالى- فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، أبعد هذا كلِّه يسيغ لأحد أن ينال منهم؟ فمن كفَّرهم فهو كافر، ومن اعتقد ارتدادهم فهو مرتد، ومن سبَّهم فهو الذي يستحق السَّب، ومن تنقَّصهم فهو النَّاقص، ومن آذاهم فهو ضالٌ مضلّ، ومن آذى أحدًا منهم فهو ضالٌ مبتدع، والطَّعن فيهم طعن في الدِّين كلِّه؛ لأنَّهم هم

---

[١٠٥] [الحشر: ٨].
[١٠٦] [الحشر: ٩].
[١٠٧] [الحشر: ١٠].
[١٠٨] [النّساء: ٩٥].
[١٠٩] [التوبة: ١٠٠].
[١١٠] [الفتح: ١٨].

الذين نقلوا لنا هذا الدِّين غضًّا طريًّا متمثِّلاً في الكتاب والسنَّة، كما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم.

فالنَّيل منهم نيل من الإسلام كلِّه؛ بل من ادَّعى ردَّهم نقول: أنَّ الإسلام -بناءً على قولك- لم يوجد الآن بناء على أنَّهم -كما تقول، وكما تزعم- أنَّهم ارتدّوا فالإسلام غير موجود البتَّة، ولكنَّهم هم نقلة الإسلام، وهم حماة الإسلام، وهم دعاة الإسلام، وهم أفضل أهل الإسلام بعد رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. فيجب علينا اتّجاههم ما يلي:

أوَّلاً: الترضِّي عنهم جميعًا رضي الله عنهم، والترضِّي خاص بالصَّحابة، ومن بعدهم من المسلمين ماذا نقول فيه؟ يُترحَّم عليه، إذن الترضِّي ميزة خاصَّة للصَّحابة.

ثانيًا: محبَّتهم وتقديم محبَّتهم بعد محبَّة الله ورسوله على من سواهم.

ثالثًا: موالاتهم وموالاة من يواليهم، وبُغض من يبغضهم، ومعاداة من يعاديهم.

رابعًا: اعتقاد عدالتهم جميعًا.

خامسًا: اعتقاد أنَّهم أفضل الأمَّة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سادسًا: أنَّهم يتفاضلون فيما بينهم، وأفضلهم الخلفاء الرَّاشدون: أبو بكر ثمَّ عمر ثمَّ عثمان ثمَّ علي، ثمَّ العشرة المبشَّرون بالجنَّة، ثمَّ أهل بدر ثمَّ المهاجرون، ثمَّ الأنصار، ثمَّ من أسلم قبل الفتح، ثمَّ من أسلم بعد الفتح وسائر الصَّحابة.

سابعًا: الكفُّ عمَّا شجر بينهم من أحداث، وعدم الاغترارِ ببعض القصص التَّاريخي الذي يذكره: الكلبي، والواقدي، والمسعودي، واليعقوبي، وغيرهم من الكذَّابين، وتنقية التَّاريخ الإسلامي من مثالب الصَّحابة، ومن مثالب الخلفاء، ومن مثالب أئمَّة الإسلام التي تبنَّاها هؤلاء الرَّافضة، فيجب الكف وذكر الوقائع يجب أن يكون بقدر ما يُتَّعظ به من الحذر من الفتن، ولا يجوز التوسُّع فيه كما لا يجوز أن نتسلَّى بذكره؛ بل يجب أن نترضَّى عنهم، ونترحَّم عليهم، وأن نعذرهم فيما بدر من بعضهم من اجتهاد خاطئ لعلَّه ينغمر في خضمٍّ ما قدّموا للإسلام والمسلمين.

يقول علي بن أبي طالب –رضي الله عنه-: "أَرجُو أَن أَكُون أَنَا وطَلحة والزُّبَير ومُعَاوِية -رضي الله عنهم جميعًا- [أرجو أن نكون] مِّمَّن قَالَ الله فِيهِم: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ**﴾[111]".

فينبغي لنا أن نتنبَّه لهذا، ولا نُصغي لبعض الكتَّاب المعاصرين ولو انتموا إلى أهل السنَّة؛ الذين ينالون من عمرو بن العاص أو معاوية أو أبي سفيان -رضي الله عنهم- أو هند أو أبي موسى الأشعريِّ أو علي -رضي الله عنهم جميعًا-، هؤلاء الكتَّاب جهلة مساكين، ووقعوا فيما وقعوا فيه نتيجة؛ لأنَّهم صدَّقوا كلَّ ما يرونه في التَّاريخ، التّاريخ ليس قرآنًا وليس بسنَّة؛ بل يجب التحفُّظ من كلِّ ما يُقال في التَّاريخ.

والعجيب أنَّ بعض النَّاس يوالي هؤلاء الكتَّاب ويرى أنّهم من الشُّهداء؛ بل ربَّما قدَّمهم حتَّى على الصَّحابة، وهذا من الضّلال المبين. فانتبه -يا عبد الله!-. انتبه، عليك أن تُنبِّهَ على أخطاء هؤلاء الكتَّاب سواء كان صاحب (الظِّلال) أو غيره ممَّن ضلَّ في هذا الباب –في باب الصَّحابة-، قد يُعذر لجهله لكن أنت لا تُعذر، هو أمره إلى ربِّه؛ لكن أنت لا تعذر إذا لم تُبيِّن خطأه وضلاله في هذا الباب، فانتبه -يا عبد الله!- إلى حرمة الصَّحابة، الصَّحابة حدٌّ بين أهل السنَّة وأهل البدعة والضَّلال، حدٌّ فاصل بين الحقِّ والباطل.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

توقير العلماء والاقتداء بهم

ثُمَّ تَفضِيلُ التَّابِعينَ ومَنْ بَعدَهم مِنَ الأئِمَّة والعُلَمَاءِ -رحمهم الله- وَالتَّعظِيمُ لحَقِّهِم، وَالاقتِداءُ بِهِم، وَالأَخذُ بِهَديِهِم، وَالاقتِفاءُ لآثارِهِم، وَالتَحفُّظُ لأَقوَالِهم، وَاعتِقَادُ إصَابَتِهِم.

[الشرح]

[111] [الحجر: ٤٧].

مسألة العلماء واحترامهم والترحُّم عليهم، والإفادة من علمهم، وتوقيرهم وتعظيمهم، وثني الرُّكب عندهم، والإفادة من علمهم: هذا أمرٌ أمرَ الله به في كتابه، وأمر به رسُولُه صلى الله عليه وسلم؛ قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[١١٢]، وقال -جلَّ وعلا-: ﴿**فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾[١١٣]، وقال -جلَّ وعلا-: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾[١١٤]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**إِنَّمَا العِلمُ بالتَّعلُّم، وإنَّمَا الحِلمُ بالتَّحلُّم**))[١١٥]، وقال عليه الصَّلاة والسلام: ((**يَحمِل هَذَا العِلمَ مِن كُلِّ خلَفٍ عُدُولُه يَنفُونَ عَنهُ تَحرِيفَ الغَالِين، وانتحَالَ المُبطِلِين، وتأوِيلَ الجَاهلِين**))[١١٦].

إذن يجب احترام العلماء ابتداءً من التّابعين إلى المعاصرين من علمائنا الأفاضل –رحمه الله تعالى-، ولا نلتفت إلى نعيق النَّاعقين الذين ينالون من علماء المِلّة، وعلماء الأمَّة الوقَّافين عند حدود الله، الذَّابِّين عن حدود الله، الذَّابِّين عن حرمات الله الذين شابت نواصيهم في الدَّعوة إلى الله على بصيرة، والذين وفَّقهم الله لخدمة القرآن وخدمة السنَّة، ولا نلتفت إلى بعض المبتدعة سواءً الذين جفوا أم غلوا فيهم، فلا نجفوا ولا نغلوا، نكون وسطًا نحترمهم ونجلُّهم ونتقرَّبُ إلى الله بحبِّهم ونفيد من علمهم ولا نعتقد عصمتهم؛ لأنَّ العصمة للرُّسل عليهم الصّلاة والسّلام، ومن أخطأ منهم التمسنا له العذر.

أمَّا الحملةُ عليهم، كما هو الحال في بعض الأشرطة التي يوزِّعها الحدَّاديُّون من النَّيل من بعض العلماء، ومن بعض علماء الأمَّة الأفاضل فهذا جهل مركَّب من هؤلاء، ونقول لهم ما قاله ابن عساكر: "إنَّ لُحُومَ العُلماء مَسمومَة ، وسُنَّة اللهِ فِي مُنتقِصِهم مَعلومَة"، ونقول لهم: (أقِلّي اللَّوم، وإلاَّ فسدُّوا الأمرَ الذِي سدُّوا)، ونقول له: (رحِمَ اللهُ امرءًا عرفَ قَدرَ نَفسِه) من

---

[١١٢] [النحل: ٤٣].

[١١٣] [التوبة: ١٢٢].

[١١٤] [النساء: ٨٣].

[١١٥] أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/١١٨ ، رقم ٢٦٦٣)، والخطيب (٥/٢٠١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم : ٢٣٢٨.

[١١٦] أخرجه البيهقي (١٠/٢٠٩ ، رقم ٢٠٧٠٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح: ٢٤٨.

أنا ومن أنت حتَّى ننال من علماء الأمَّة، حتَّى ننال ممَّن خدم السنَّة، وخدم العقيدة، وخدم التَّوحيد؟!

أيُّها الجاهل! عليك أن تعرف قدر نفسك، وعليك أن تراقب الله فيما تقول، أذكِّرُكَ بقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[117]، وبقول الله -جلَّ وعلا-: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾[118]، وبقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**﴾[119]، فاحفظ لسانك عن الولوغ في أعراض العلماء الرَّبَّانيِّين قبل أن يكونوا خصمًا لك ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[120].

اتَّقِ الله -يا عبد الله!- ولا تُطلق لسانك في العلماء فإنَّ لحومهم مسمومة، وإنَّ سنَّة الله في منتقصهم معلومة

«فيَا مَن يَغمِزُ العُلَمَاءِ سُحقًا وبُعدًا .. لَستُ مِنكَ وَلَستَ مِنِّي»

وأنبِّهُ هنا على خطأ وقع فيه المصنِّف -رحمه الله، وعفا الله عنَّا وعنه- وهو قوله: (واعتِقَادُ إِصابتِهِم) هذا الأمر غير صحيح، فمن دون النبي صلى الله عليه وسلم يخطئون ويُصيبون، والحقُّ واحد لا يتعدَّد يُصيبه من يُصيبه، ويُخطِئه من يُخطِئه؛ ولكن الغالب فيهم الصَّواب، وهم أقرب من غيرهم إلى الصَّواب، وإذا شككت في أمر فاسلك سبيلهم وسِرْ على منهجهم ﴿**أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾[121]، مع الاعتقاد أنَّ الخطأ وارد؛ ولكن الخطأ الاجتهادي صاحبه مأجور، كما صحَّ عن النبي صلَّى الله عليه وسلم: ((**إِنَّ الْحَاكِمَ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ**))[122] وهذا فيما يسوغ فيه الخلاف،

---

[117] [ق: ١٨].

[118] [الإسراء: ٣٦].

[119] [الأحزاب: ٦٩].

[120] [الشعراء: ٨٨-٨٩].

[121] [الأنعام:٩٠].

[122] رواه البخارى (٦/٢٦٧٦ ، رقم ٦٩١٩) ، ومسلم (٣/١٣٤٢ ، رقم ١٧١٦).

أمَّا العقيدة فلا خلاف فيها بين العلماء الرَّبانيِّين، فانتبه لهذا -يا عبد الله!- وأنزل العلماء منازلهم، واحترمهم وخذ العلم عنهم.

«أخِي لَن تَنالَ العِلمَ إلاَّ بِستَّةٍ .. سَأُنبيكَ عَن تَفصِيلِهَا بِبَيانِ
ذَكاءٌ وحِرصٌ واصطِبَارٌ وبُلغَةٌ .. وَصُحبَةُ أُستاذٍ وطُولُ زَمانِ»

وقبل ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي سمعتموه **((إنَّمَا العِلمُ بالتعلُّم، وإنَّمَا الحِلمُ بالتَّحلُّم))**.

[المتن]

إقام الصلاة

وَإقَامُ الصَّلاَة؛ فَإنَّها عَمُودُ الدِّينِ، وعِمَادُ الشَّريعَة، وآكَدُ فرَائِضِ الملَّةِ في مُرَاعَاةِ طَهَارتِها، ومُرَاقبةِ أوقَاتِهَا، وإتمامِ قِرَاءتِها، وإكمَالِ رُكُوعِهَا وسُجُودِهَا، واستِدَامَةِ الخشُوعِ فيهَا، وَالإقبَالِ عَلَيهَا، وَغيْرِ ذَلكَ مِن أحكَامِهَا وَآدَابِها في الجمَاعَاتِ والمسَاجِد؛ فَإنَّ ذَلكَ شِعَارُ المؤمِنِينَ، وسَنَنُ الصَّالحِينَ، وَسَبِيلُ المتَّقِينَ.

[الشرح]

ثُمَّ أوصى ولدَيْه بالمحافظة على الصَّلاة التي هي عمود الإسلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله))**[١٢٣] والصَّلاة أعظم الأركان بعد الشَّهادتين، وتارك الصَّلاةِ كَافرٌ وإن كان تركه تهاونًا أو كسلاً، في أصحّ أقوال أهل العلم، قال الله -جلَّ وعلا-: **﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾**[١٢٤]، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((العَهدُ الذِي بَينَنا وبَينهُم الصَّلاة فَمن تَركَهَا فَقد كَفر))**، وهذا يكاد أن يكون محلَّ إجماعٍ بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال عبد الله بن شَقيق: "كَانُوا لاَ يرونَ شَيئًا تَركُهُ كُفرًا سِوى

[١٢٣] رواه الترمذي (٥/١١ ، رقم ٢٦١٦)، وصححه الألباني.
[١٢٤] [التوبة: ١١].

الصَّلاة" وهذا إجماعٌ من الصَّحابة. فتارك الصَّلاة ليس بمسلم، تطلُقُ امرأته، ويحلُّ قتاله، وماله فيءٌ في أصحِّ أقوال أهل العلم، وإن كان لبعض الفقهاء رأي يخالف ذلك، فرأيهم محترم لكنَّ النُّصوص على خلاف رأيهم، فلننتبه لهذا.

فالصَّلاة عمود الإسلام، وهي أوَّل ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، فإن قُبلت قُبلَ سائر عمله ، وإن ردَّت ردَّ سائرُ عمله، فعلينا أن نحافظ عليها في أوقاتها، وفي جماعة، قال الله تعالى في حقِّ من لم يحافظ على أوقاتها: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾[125].

وتركُ الصَّلاة من علامات المنافقين، ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[126]، ويقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: ((**أثقَلُ الصَّلاةِ عَلَى المُنَافِقِينَ: صَلاَةُ العِشَاءِ وَصَلاَة الفَجْرِ، وَلَوْ عَلِمُوا مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلوْ حَبْوًا**))[127].

فعلينا أن نحافظ عليها وفي جماعة، وأن نحافظ على طهارتها، وأنْ نعرف شروط الطَّهارة، وشروط الصَّلاة؛ حتَّى تؤدَّى على الوجه الذي يرضي الله، وكذلك أركانها وواجباتها وسُنَنُها؛ حتَّى ينطبق علينا قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِى أُصَلِّى**))[128] وصلاة الجماعة فرض عين على كلِّ مسلمٍ عاقل بالغ ذكر مكلَّف، لا يحلُّ له أن يترك الجماعة، ومن تخلَّف عنها فإنَّ ذلك من علامات المنافقين.

قد سمعنا البارحة قصَّة الرَّجل الأعمى الذي استأذن النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم أن يصلِّي في بيته فلم يأذن له، ولديه عذر، مع قوله صلى الله عليه وسلم: ((**لَقَد هَمَمَتُ أَن آمُرَ رَجُلاً فَيؤُمَّ النَّاس ثمَّ آمُرُ بحَطَبٍ فيُحتَطَبَ فَأَذهَبَ إِلَى قَومٍ لاَ يشهَدُونَ الصَّلاَةَ فَأُحرِّقَ عَلَيهِم**

---

[125] [الماعون: ٤-٧].

[126] [النساء: ١٤٢].

[127] البخاري (١/٢٣٤ ، رقم ٦٢٦) ، ومسلم (١/٤٥١ ، رقم ٦٥١).

[128] أخرجه البخاري (١ / ١٥٧)، ومسلم (٢ / ١٤٢).

بيُوتَهُم بِالنَّار))[١٢٩]، قوله صلى الله عليه وسلم: **((مَن سَمِعَ النِّدَاءَ وَلم يُجِب فَلاَ صَلاَةَ لَه))**[١٣٠].

فانتبه -يا عبد الله!- وإيَّاك وتتبُّع بعض الرُّخص، فإنَّ تتبَّع الرُّخص قد تحيلها إلى زندقة، وحافظ على الصَّلاة في جماعة كما هو هدي الرَّسول الكريم صلى الله عليه وسلَّم، وَإيَّاك والتَّهاون بها.

وأنبِّه هنا إلى رسالة توزَّع عبر الجوال؛ يقول: (أنَّ تارك الصلاة له خمس عشرة عقوبة) هذا حديث موضوع مكذوب، وعندنا من الآيات و الأحاديث الصَّحيحة ما يغنينا عن التعلُّق بمثل هذا الحديث الموضوع المكذوب، كذلك الحديث الطَّويل الذي فيه أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وسلم رأى امرأة كذا و امرأة كذا وامرأة كذا نعم فيه خلط، ويعني إدخال بعض الأحاديث الصَّحيحة بين هذا الحديث الموضوع الذي يرسل الآن بين النِّساء عبر الجوَّالات، ذلكم الحديث الطَّويل المنسوب إلى علي -رضي الله عنه-، هذا كلَّه باطل فاحذروا من الباطل، واتَّبعوا الحق، فإنَّ الحق أحق بالاتباع ولو خالفه الناس.

[المتن]

قال - رحمه الله-:

آداء الزكاة

ثمَّ أدَاءُ زَكَاةِ المالِ لاَ تُؤخَّرُ عَن وَقتِهَا وَلاَ يُبخَلُ بِكَثِيرِهَا، وَلاَ يَغفَلُ عَن يَسيرِها وَلتَخرُج مِن أَطيَبِ جِنس، وَبِأَوفَى وَزنٍ فَإنَّ اللهَ تَعَالَى أكرَمُ الكُرَمَاء، وَأَحقُّ مَن اختِيرَ لَه، وَلِتُعطَى بِطِيبِ نَفس، وَتَيقَّنٍ أَنَّها بَرَكَةٌ فِي المَالِ وَ تَطهِيرٌ لَه، وَتُدفَعُ إلَى مُستَحِقِّهَا دُون محَابَاةٍ وَلاَ مُتَابَعَة وَلاَ هَوَادَةٍ.

[١٢٩] رواه أبو داود، وصححه الألباني.

[١٣٠] رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب: ٤٢٦.

[الشرح]

الرُّكن الثَّاني: الزَّكاة؛ وهي طهاة للمال، وهي حق مخصوص في مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص، وهي نزرٌ يسير إذا نظر إلى نسبته في المال، ولا تزيد المال إلا خيرًا وبركة، وهي الرُّكن الثَّالث من أركان الإسلام، قد سمعنا الآية: ﴿**فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ**﴾[131]، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **((بُنِيَ الإسلاَمُ عَلَى خَمسٍ شَهَادَة أنْ لاَ إلَه إلاَّ الله وَأَنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ الله وَ إِقَامِ الصَّلاَةِ وَإيتَاءِ الزَّكَاة وَصَومِ رَمَضَانَ وَ حَجِّ بَيتِ اللهِ الحَرَام))**[132]، وكذلك في حديث جبريل ومجيئه إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن عمر بن الخطَّاب وذكر أركان الإسلام وذكر ثالثها الزَّكاة، وقال الله تعالى متوعِّدًا من لم يخرج زكاته: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـــذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾[133].

ومن تركها جحودًا فقد كفر، ومن تركها تهاونًا فقد ارتكب إثمًا عظيمًا من أعظم الآثام، فعليك أن تخرجها طيِّبة بها نفسك غير محتال على إخراجها، وأن تعتقد أنَّها حقٌّ واجبٌ عليك لا منَّة لك فيها، بل هي حقٌّ في المال، ﴿**فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾[134]، ﴿**وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾[135].

وأنبِّه هنا إلى أمور:

الأمر الأوَّل: عدم التحيُّل، فالبعض ممن يخرج الزَّكاة يعطي الغير من أجلِ أن يُعطيه، كلَّ واحد يعطي زكاته للآخر، وهذا باطل وتحيُّل.

---

[131] [التوبة:١١].
[132] متفقٌ عليه؛ أخرجه البخاري (١ / ١٠) ومسلم (١ / ٣٥).
[133] [التوبة: ٣٤-٣٥].
[134] [المعارج: ٢٤-٢٥].
[135] [الأنعام: ١٤٢].

والأمر الثَّاني: أنَّ النَّاس يعمد إلى أردأ المال فيجعله في الزَّكاة، عليه على الأقل بالمتوسِّط، وإن أخرج الخِيَار فإنَّ ذلك خِيَار، والبعض يتحيَّل بأن يُسقط الدَّيْن بدعوى الزَّكاة وهو عاجز عن استيفائه، وهذا أيضًا من أبطل الباطل، وآخرون يحتالون فيجعلونه هدايا لبعض أقاربهم، وهذا كلُّه من حيل الشَّيطان.

ولا تصحُّ الزَّكاة للأبناء والآباء، الأبناء إن نزلوا والآباء والأمَّهات وإن علوا، ويجب أن تخرجها طيِّبة بها نفسك، كما يجب أن تعطيها لمستحقِّيها وهي الأصناف الثَّمانية التي ذكرت في سورة (التَّوبة)، وألاَّ يُخرج بها عن ذلك، ولذلك فإنَّ الصَّحيح أنَّ بناء المساجد ليس من مصارف الزَّكاة، بناء المساجد ليس من مصارف الزَّكاة، إجراء الأنهار وحفر الآبار ليس من مصارف الزَّكاة، بناء المدارس ليس من مصارف الزَّكاة، مصارف الزَّكاة معلومة ومحدَّدة، فانتبه لهذا -يا عبد الله!-.

[المتن]

قال – رحمه الله -:

صوم رمضان

ثُمَّ صِيَامُ رَمَضَان؛ فَإِنَّه عِبَادةُ السِّرِّ وَطَاعَةُ الربِّ، وَيَجِبُ أنْ يُزادَ فِيه مِنْ حِفظِ اللِّسَان، وَالاجتِهَادِ فِي صَالِح العَمَل، وَالتَّحفُّظِ مِنَ الخَطَأ وَالزَّلَل، وَيُرَاعَى فِي ذَلكَ لِيَالِيه وَأَيَّامُه، وَيُتبع صِيامُه وَقِيَامُه، وَقَد سُنَّ فِيهِ الاعتِكَافُ.

[الشرح]

كذلك **الرُّكن الرَّابع:** وهو **الصَّوم**، صوم رمضان الذي يوشك أن يُهلَّ علينا، نسأل الله أن يُبلِّغنا وإيَّاكم إيَّاه ثمَّ يوفِّقنا لصيامه وقيامه على الوجه الذي يرضيه، وأن يتقبَّله منَّا، ثلاثة أمور ندعو بها:

أوّلا: أن يبلّغنا الله إيّانا وإيّاكم إيّاه، ثمّ يوفّقنا لصيامه وقيامه، ثمّ يتقبّله منّا، إنّه وليّ ذلك القادر عليه.

وهو فرضٌ من فرائض الإسلام، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾[١٣٦] وهو سرٌّ بين العبد وبين ربّه لا يطّلع على حقيقته إلاّ الله، ولذلك تكفّل بعِظم أجر الصّائم دون تحديد، قال عليه الصّلاة والسلام فيما يرويه عن الله -جلّ وعلا-: **((كُلُّ عَملِ ابنِ آدَمَ لَه، الحَسنةُ بِعشرِ أَمثالِهَا إلَى سَبْعمئةِ ضِعف إلَى أَضعَافٍ مُضاعَفة إلاَّ الصَّوم فإنَّهُ لِي وأنَا أَجزِي به))**[١٣٧].

وينبغي؛ بل يجب حفظ اللِّسان في الصِّيام، والحرص على تلاوة القرآن والصَّدقات، والتقرُّب إلى الله -عزَّ وجل- بالأعمال الصَّالحة، فإنَّه شهرٌ عظيم فيه تُضاعف الأعمال والحسنات، فلنستغلّ ولنغتنم هذه الفرصة الثَّمينة.

[المتن]

قال –رحمه الله -:

حج البيت والعمرة

ثُمَّ الحَجُّ إلى بَيتِ اللهِ الحَرامِ مَنِ استطَاعَ إلَيهِ سَبيلاً، فَهُو فَرضٌ وَاجِبٌ، وَقَد رُوِي عَن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قَال: ((الحَجُّ المبرُورُ لَيسَ لَه جَزَاءٌ عِندَ اللهِ إلاَّ الجَنَّةُ)).

[الشرح]

والرُّكن الخامس: هو **حجُّ بيت الله الحرام،** ويجب في العمر مرَّةً واحدة هذه هي الفريضة، ومن زاد فقد نال حظًّا عظيمًا، يقول الله -جلَّ وعلا-: ﴿**وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ**

[١٣٦] [البقرة: ١٨٣].

[١٣٧] سنن ابن ماجة: ٣٨٢٣، وصححه الألباني.

الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[١٣٨]، ويقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: **((أيُّهَا النَّاس إنَّ اللهَ كتبَ عَليكُم الحجَّ فَحجُّوا، قالوا: أَفِي كُلِّ عامٍ يَا رسُولَ الله؟ قال: لَو قُلتهَا لَوجَبت بَل فِي العُمرِ مرَّة))**[١٣٩] أو كما قال صلى الله عليه وسلم، ويجب أداؤه على المستطيع من وجود الزَّاد والنَّفقة والرَّاحلة وأمن الطَّريق ونحو ذلك، وتزيد المرأة شرطا آخر وهو وجود المحرم، فإنَّ لم يكن ثمَّة محرم فإنَّ الحجَّ يبطل ويسقط عنها ولو وجدت المال في أصحِّ أقوال أهل العلم، وينبغي للمسلم أن يجتهد في أدائه، وفي أداء الفرض والحج والعمرة قبل فوات الأوان، وأن يهتم بذلك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((الحجُّ المَبرُورُ لَيسَ لَهُ جَزاءٌ إلاَّ الجَنَّة))**[١٤٠].

أسأل الله الكريم ربِّ العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا؛ أن يوفِّقني وإيَّاكم للعلم النَّافع والعمل الصَّالح. وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه.

** ** ** ** ** ** ** **

---

[١٣٨] [آل عمران: ٩٧].

[١٣٩] أخرجه : مسلم ٩١/٧ (١٣٣٧) (١٣١).

[١٤٠] أخرجه: البخاري ٢/٣ (١٧٧٣)، ومسلم ١٠٧/٤ (١٣٤٩) (٤٣٧) من حديث أبي هريرة.

الأسئلة

أحسن الله إليكم وبارك فيكم ونسأله سبحانه أن ينفعنا بما سمعنا.

السؤال:

يقول السَّائل: ما صحَّة قول إنَّ الله خلق العالم تكريمًا لمحمد صلى الله عليه وسلم، أو خلق العالم من نوره صلى الله عليه وسلم.

الجواب:

هذا قول باطل وفاسد، ومصدره أحاديث موضوعة ومكذوبة، قد وضعها بعض الْجُهَّال من غلاة المتصوِّفة، وهناك كتاب مؤلَّف اسمه: (تنبيه الحذَّاق إلى ما نُسب إلى مصنَّف عبد الرزَّاق) لشيخنا الشَّيخ: محمد بن أحمد عبد القادر الشَّنقيطي -رحمه الله-، وقد قدَّم له شيخنا الشَّيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز —يرحمه الله -، والكتاب عظيم جدًا أبطل هذا الحديث متنًا وسندًا، فهو باطل من جهة سنده؛ لأنَّه مليء بالوضَّاعين، وباطل من جهة متنه؛ لمخالفته القرآن والسنَّة.

فالنَّاس جميعًا قد خلقوا من آدم وآدم من تراب، فمن اعتقد غير ذلك فقد أعظم على الله الفرية، وحديث: (لَولاَك لولاَك لَما خلَقت الأَفلاك) وحديث: (أنَّ النَّاس قد خُلقوا مِن نُور محمَّد) وكلَّ هذا من الأحاديث الموضوعة المختلقة المكذوبة، لم يتفوَّه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا غيره من الأنبياء فانتبهوا إلى مثل هذه الأحاديث المختلقَة، وإيّاكم أن تنخدعوا بها، وارجعوا إلى هذا الكتاب واقرؤوه.

** ** ** ** ** ** ** **

السؤال:

أحسن الله إليكم. يقول السَّائل، هل تنتفي الأخوَّة الإيمانيِّة بترك الزَّكاة، كما انتفت بترك الصَّلاة في قوله تعالى: ﴿**فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ**﴾[١٤١]؟

الجواب:

لا تنتفي بترك الزَّكاة تهاونًا أو كسلاً أو بخلاً مع اعترافه بوجوبها، وذلك لدليل آخر، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: -عندما ذكر أنَّ- ((**مَا مِن صَاحبِ ذَهبٍ وَلاَ فِضَّة إلاَّ صُفِّحتْ لَهُ صَفائِحَ يَومَ القِيَامة، فَيُكوَى بِهَا ظَهرُهُ وجَنبُهُ وجَبهَتُه فِي يَومٍ كَانَ مِقدَارُهُ خَمسِينَ ألفَ سَنةٍ ثُمَّ يَرَى مَصِيرهُ إِلَى الجنَّة أَو إِلَى النَّار**))[١٤٢] وكذلك صاحب الإبل والغنم والبقر. فهذا أخرج مسألة الزَّكاة من أن يكون تاركها تهاونًا كافرًا، أمَّا الصَّلاة فلم يأت ما يدلُّ على استثنائها من ذلك.

** ** ** ** ** ** ** **

السؤال:

أحسن الله إليكم. سؤال عبر الشَّبكة، يقول فضيلة الشَّيخ قرأنا لمشايخنا أنَّ التَّأمين لا يُردُّد إلاَّ في حالة الدّعاء المباشر لا المسجَّل، فهل ذلك ينطبق أيضًا على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؟

الجواب:

لعلَّ السُّؤال غير واضح، كيف ينطبق على الصَّلاة على النَّبي صلى الله عليه وسلم:

((**رَغِمَ أنفُ امرئٍ ذُكِرتُ عِندهُ فَلم يُصلِّ عَليَّ**))[١٤٣] إذا ذُكر النبي صلى الله عليه وسلم فصلِّ وسلِّم عليه، وأفضل الصّلوات هي الصّلاة الإبراهيميّة التي نقولها في التشهّد، أو تختصرها في جملة: "صلى الله عليه وسلم."

---

[١٤١] [التوبة: ١١].

[١٤٢] أخرجه: البخاري ٢/١٣٢(١٤٠٢) ، ومسلم ٣/٧٠-٧١ (٩٨٧) (٢٤).

[١٤٣] رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني.

أما التغني بالصلاة عليه وتحويل ذلك إلى موشحات وابتهالات، فهذه بدعة من البدع وليست من ذكر الله، وليست من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا من الغلو.

كما أنَّ من الجفاء: الاكتفاء بـــ (صلعم) كما يفعله بعض الكتَّاب أو بحرف الصَّاد (ص) أو نحو ذلك ، أُكتب: "صلى الله عليه وسلم"، أو قل: "صلى الله عليه وسلم"، أو اذكر الصلاة الإبراهيميَّة ، فلا إفراط ولا تفريط. لا يجوز تحويلها إلى غناء وابتهالات وموشّحات كما يفعل المتصوّفة، كما لا يجوز الجفاء في ذلك كما يفعله بعض الكتَّاب الذين لا يُصلُّون على النبي صلى الله عليه وسلم عندما يُذكر اسمه، أو يذكرونه مجرَّدًا عن الرّسالة، فيقولون عبقريَّة محمد، وفعل محمَّد ، وحياة محمَّد، هذا كلامٌ لا ينبغي ولا يليق بمقام النبوَّة؛ بل يجب أن يُصلِّى عليه كلَّما ذُكر صلوات الله وسلامه عليه.

** ** ** ** ** ** ** **

السؤال:

أحسن الله إليكم، يقول السَّائل هل ثبت اسم: إسرافيل في الكتاب أو السنّة، وأين موضع ذلك؟

الجواب:

ثبت ذِكر جبريل وميكائيل في الكتاب؛ قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ**﴾[١٤٤]، وورد ذكر "إسرافيل" في باب النَّفخ في الصُّور، ولعلَّنا نحضِّر غدًا النصَّ في ذلك -إن شاء الله تعالى-.

** ** ** ** ** ** ** **

السؤال:

أحسن الله إليكم. يقول السَّائل ما هي الطَّريقة الأنجع لتربية الأولاد على السنَّة؟

---

[١٤٤] [البقرة:٩٨].

الجواب:

الطريقة الأنجع: أن يُربطوا بأهل السنَّة، وبعلماء السنَّة وأن ينشَّئوا على ذلك منذ نعومة أظفارهم، فتُحفِّظهم القرآن، وتحفِّظهم ما استطعت من السنة، وتربطهم بالسنة في جميع الحياة، في العقيدة، في الآداب، في العبادة، في الأكل، في الشرب، في الحركة، في الذَّهاب، في الغدوِّ، في الرَّواح، في النَّوم، عند السَّفر، تعلِّمهم ذلك كلَّه. فإذا نشَّأتهم على ذلك كنت قد ربَّيتهم، وخلَّفت ولدًا صالحًا يدعو لك إن شاء الله.

وفَّقنا الله وإيَّاكم للعلم النَّافع والعمل الصَّالح، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه.

المجلس الثالث

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

قبل أن نبدأ درسنا أنبِّه على أمرٍ في درس الأمس، أظنَّ أنه حصل سبقة لسان فقلت: الذين ذكروا من الملائكة في القرآن أربعة، وهم ثلاثة، الذين ذُكروا ثلاثة وهم: جبريل، وميكائيل، ومالك خازن النَّار، وقد ذكرنا أدلَّة ذلك البارحة، أمَّا إسرافيل –عليهم جميعا السلام-، وذكرنا لكم بالأمس (مُنْكَر وَنَكِير) ثبتا في السنَّة.

كذلك إسرافيل ورد ذكره في السنَّة، فيما رواه الإمام مسلم أو رواه الجماعة إلاَّ البخاري بالأحرى؛ وهو حديث افتتاح قيام صلاة اللَّيل حيث جاء فيه، عن عائشة -رضي الله عنها– أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يفتتح قيام الليل بقوله: **((اللهمَّ رَبَّ جبرَائِيلَ وإسرَافِيلَ ومِيكَائِيل، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ والأَرضِ عَالِمَ الغَيبِ وَالشَّهادَةِ أَنتَ تَحكُمُ بَينَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَختَلِفُون، اهدِني لِمَا اختُلِفَ فِيه مِنَ الحقِّ بِإذنِك إنَّكَ تَهدِي مَن تَشَاءُ إِلَى صِراطٍ مُستَقِيم))**[١٤٥] فـــإسرافيل جاء ذكره في هذا الحديث، ولكن لم يثبُت أنَّه هو الذي ينفخ في الصّور، والأحاديث الواردة في كونه هو الذي ينفخ في الصُّور فيها مقال؛ بل كلُّ ما قيل في النّفخ في الصّور **((كَيفَ وَقَد التَقَمَ صَاحِبُ القَرنِ قَرنَهُ))**[١٤٦] ولم يرد في حديث صحيح أنّه إسرافيل؛ إنَّما إسرافيل ورد ذكره في هذا الحديث في دعاء قيام الليل الذي سمعتموه وقد رواه الجماعة إلاَّ البخاري.

---

[١٤٥] رواه مسلم: ١٢٨٩.

[١٤٦] رواه الترمذي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ١٠٧٩.

وأمَّا ما يتردَّدُ على ألسنة العوام من ذكر عزارئيل وأنَّه ملك الموت فهذا لا يصح، كلُّ ما جاء فيه أنَّه ملك الموت ولا يصح تسميته: عزرائيل، كما أنَّ رقيب وعتيد ليست من أسماء الملائكة؛ وإنّما هما وصفان للكرام الكاتبين ﴿**مَا يَلفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[١٤٧]، وهم: الكرام الكاتبون، فلنتنبّه لهذا.

ولم يرد ذكر للملائكة بأسمائهم إلاَّ هؤلاء الستَّة: (جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، ومنكر، ونكير)، فنؤمن بهم تفصيلاً ونؤمن ببقيَّة الملائكة إجمالاً، فلنتنبَّه لهذا؛ هذا هو ما أحببت أن أنبِّه عليه ممَّا بقي من درس الأمس.

والآن نشرع في بقيَّة الدُّروس، ولعلَّنا نحاول الاختصار في الشَّرح فيما تبقَّى.

[المتن]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّه الأمين محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فيقول الشيخ الفقيه الإمام الحافظ (أبو الوليد سليمان بن خلف الباجيِّ) –رحمه الله وغفر له و لشيخنا ولنا وللمسلمين– في وصيَّته لولديه:

الجهاد في سبيل الله

ثُمَّ الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ إنْ كَانَت بِكُمَا قُدرَةٌ عَلَيه، أَو عَونُ مَنْ يَستَطِيعُ إنْ ضَعُفتُمَا عَنهُ. فَهَذِه عُمَدُ فَرَائضِ الإسلاَم، وَأَركَانُ الإيمانِ، حَافِظَا عَلَيهَا، وَسَابِقَا إلَيهَا، تَحُوزَا الخَيْرَ

---

[١٤٧] [ق: ١٨].

العَظِيمَ، وَتَفوزَا بِالأجرِ الجَسِيمِ، وَلاَ تُضَيِّعا حُقُوقَ اللهِ فيهَا وَأَوامِرَه بِهَا، فَتَهلَكَا مَعَ الخَاسِرِين، وَتَندَما مَعَ المفرِّطِين.

[الشرح]

حثَّ ولديه على الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام، قال الله -عزَّ وجل-: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[١٤٨] وقال جلَّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١٤٩]، ويقول -جلَّ وعلا-: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[١٥٠].

وليس الجهاد قاصرًا على القتال؛ بل قد يكون الجهاد بالقلم، قد يكون بالسَّيف، قد يكون بالنَّفس، قد يكون بالمال، قد يكون بالدَّعوة إلى الله -جلَّ وعلا-، قد يكون بطلب العلم فإنَّ من يطلب العلم سمَّاه النبي صلى الله عليه وسلم جهادًا، قال: **((الذِي يَأتِي إلَى هَذَا المسجدِ لاَ يَأتِي إلاَّ لطَلَبِ العِلمِ، فَهوَ كَالمجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ))**[١٥١] أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

والجهاد الذي هو بمعنى القتال له شروط وضوابط لابدَّ من التنبّه لها، منها:

أولاً: الإخلاص، أنَّه عبادة ومن شروط العبادة الإخلاص لله وحده.

ومنها: أن يكون على هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

[١٤٨] [العنكبوت: ٩٦].
[١٤٩] [الصف: ١٠-١١].
[١٥٠] [الحج: ٧٨].
[١٥١] أخرجه ابن ماجه (١ / ١٠٠ - ١٠١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

ومنها: أن يكون تحت راية التوحيد، **((لَيسَ مِنَّا مَن قَاتَل تَحتَ رَايةٍ عِمِّيَّةٍ))**[١٥٢].

ومنها: وجود الشَّوكة والمنعة، فإن كان المسلمون في حال ضعفٍ، فلا ينبغي لهم أن يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة.

ومنها: ألاَّ يكون المقاتَلون بينهم عهد وبين المسلمين؛ قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿**وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ**﴾[١٥٣].

ومنها: إذن وليِّ الأمر.

ومنها: إذن الوالدين.

ومنها: غلبة الظنِّ بغلبة المسلمين.

ومنها: وقوف النَّاس في وجه الدَّعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-.

فإذا توافرت هذه الشروط فحيَّ على الجهاد، والنَّاس في هذا الزَّمان في مسألة الجهاد على ثلاثة أقسام، طرفان ووسط:

طرفٌ ألغى الجهاد بالكليِّة، وهم غلاة المتصوِّفة، وزعموا أنَّ زمن الجهاد قد ولَّى وانقضى، وقالوا: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، وقالوا: علينا أن نكتفي بجهاد النَّفس فقط، ولا نزيد على ذلك، وهذا من الخنوع، وهذا من جحد فرائض الله -تبارك

---

[١٥٢] عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **((وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ وَيُقَاتِلُ لِلْعَصَبَةِ فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي))** رواه مسلم: ٣٤٣٧.

[١٥٣] [الأنفال: ٧٢].

وتعالى-، فالجهاد باق إلى قيام السَّاعة **((مَن مَاتَ ولَم يَغزُ، ولَم يُحدِّث نَفسَهُ بِالغَزو، فَمِيتتُهُ مِيتةٌ جَاهلِيَّة))**[١٥٤] أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وآخرون سمَّوا الجهاد بغير اسمه، وألقوا بالمسلمين في متاهات خطيرة؛ بل زعموا أنَّ قتال المسلمين هو الجهاد، وزعموا أنَّ الخروج على أئمَّة المسلمين هو الجهاد في سبيل الله، وزعموا أنَّ التفجيرات في بلاد المسلمين هو الجهاد في سبيل الله، وزعموا أنَّ قتال من يخالفهم كما هو منهج الخوارج متعيِّنٌ قبل جهاد الكفار، وهذا هو مذهب الخوارج المارقين من الدين، القُدامى والمعاصرين، والذين أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنَّهم **((حُدَثَاءُ الأَسنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحلاَمِ، يَقتُلُونَ أَهلَ الإِسلاَمِ، وَيَدَعُون أَهلَ الأَوثَانِ، يَقرَؤُونَ القُرآنَ لاَ يُجَاوِز حَنَاجِرَهُم، يَقُولُون مِن قَولِ خَيرِ البَرِيَّة، يَمرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمرُقُ السَّهمُ مِنَ الرَّمِيَّة، لاَ يَعودُونَ إِلَيهِ حَتَّى يَعودَ السَّهمُ إِلَى فُوقِهِ))**[١٥٥]، هؤلاء أدعياء الجهاد، الذين فرَّقوا الأمَّة، والذين أصبحوا خِنجرًا مسمومًا في صدور الأمَّة قبل أعدائها، والذين يجب البدء بهم؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **((لَئِن أدرَكتُهُم لأَقتُلَنَّهم قَتلَ عَاد، قَاتِلُوهُم حَيثُ ثَقِفتُموهُم، أقتلُوهم حَيثُ وَجَدتمُوهُم، شَرُّ قَتلَى تَحتَ أَدِيمِ السَّماء، شرُّ قَتلَى قَتلاَهُم، خَيرُ قَتِيلٍ مَن قَتلُوه، إنَّ لِمَنْ قَتَلَهُم أَجرًا))**.

وهؤلاء هم الذين لهم صولة وجولة في هذه الأيَّام، يستبيحون دماء المسلمين، يقتلون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتساءلون عن حكم قتل البعوضة**!** قتلوا عليًّا -رضي الله عنه-، وهمُّوا بقتل معاوية وعمرو بن العاص-رضي الله عنهما-، ومازالوا يشكِّلون الخطر العظيم على المسلمين، لماذا؟ لأنَّهم يتكلَّمون باسم الدِّين، والدِّين منهم براء، يقرؤون القرآن لا

---

[١٥٤] لم أجده إلا بهذا اللفظ: عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **((مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ نَفْسَهُ بِهِ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ))**. رواه مسلم (١٩١٠).

[١٥٥] رواه البخاري: ٣٣٤٢.

يجاوز حناجرهم، شغلهم القيل والقال، والتمحل والتكلف، والتنطُّع والغلو، وليِّ أعناق النُّصوص وصرفها عن ظاهرها الذي تدلُّ عليه، فحيث ما وجدتموهم فاقتلوهم.

هاتان الطَّائفتان؛ الطَّائفة التي ألغت الجهاد، وهم بعض غلاةُ المتصوِّفة، والطَّائفة التي تستحلُّ دماء المسلمين وتسمِّيه جهادًا وهم الخوارج ضالَّتان عن سواء السَّبيل، وإن ادَّعوا الدِّين، وإن تزعَّمهم فلان وعلان فإنّهم من أشقى النَّاس -والعياذ بالله-.

وأمَّة **محمد** وعلماء الدين الحنيف الذين تفقَّهوا في دين الله يقولون الجهاد باقٍ إلى قيام الساعة؛ لكن لابد فيه من مراعاة ضوابط وقواعد، ولابد من فهمها قبل الإقدام على الجهاد، فعلينا أن نتنبَّه لهذا الخطر، وأن نجتهد في فهمه وفق فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

[المتن]

قال -رحمه الله -:

طلب العلم

وَاعلَمَا أَنَّكُما إنَّما تَصِلاَن إلى أَدَاءِ هَذِه الفَرَائض وَالإتيَانِ بما يَلزَمُكُمَا مِنهَا مَعَ تَوفِيقِ الله لَكُما بالعِلمِ الذِي هوَ أصلُ الخيْر، وَبِه يُتوصَّلُ إلى البرِّ، فَعَليكُما بطَلَبِه؛ فَإنَّه غِنيً لطَالبه، وَعِزٌّ لحَامِلِه، وَهُو مَعَ هَذا السَّببُ الأَعظَم إلى الآخِرة؛ به تُجتَنبُ الشُّبهاتُ، وتَصِحُّ القُرُبَاتُ، فَكَم مِنْ عَامِلٍ يُبعِدُه عَمَلُه مِنْ ربِّه، ويُكتَبُ مَا يَتقَرَّبُ به مِنْ أكبَرِ ذَنبِه. قَال اللهُ تعَالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[١٥٦]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ

[١٥٦] [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[157] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[158] وقَالَ تعَالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[159].

[الشرح]

بعد أن بيَّن المؤلِّف –رحمه الله– الإيمان وأركانه، وبعض مسائله، وأركان الإسلام، والجهاد وأهميَّته؛ بيَّن أنَّ هذه المسائل التي هي الدين كله لا يُمكن أن تُفهم إلاَّ بالعلم والتعلُّم، وحثَّ ولديه على طلب العلم، فبالعلم يفرِّق المرء بين الحلال والحرام، وبين التوحيد والشرك، وبين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين الطريق المعوج والطريق المستقيم، وبين طريق أهل الضلال وطريق أهل الهدى والرشاد.

العلم يضيء للمسلم طريقه، فلا يعبد الله إلاَّ بما شرع، ويبتعد بسبب ذلك عن البدع، العلم نور يضيء للمسلم الطَّريق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((العِلمُ نُورٌ))؛ لأنَّ من لم يتفقّه في دين الله يظنُّ أنَّه على خيرٍ وهو على شر، **﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾**[160]، العلم تمييز يميِّز به المرء بين الأشياء، العلم يستطيع طالب العلم أن يدحض الشبهات، وأن يفهم خطورة الشهوات والشبهات، وأن يفرِّق بين المأمورات والمنهيَّات، وأن يعبد الله –تعالى- على بصيرة **﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[161].

---

[157] [الزمر: ٩].

[158] [فاطر:٢٨].

[159] [المجادلة:١١].

[160] [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

[161] [يوسف:١٠٨].

العلم -يا عبد الله!- تستطيع أن تحصِّل به أجرًا عظيمًا حتَّى بعد وفاتك، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **((إذَا مَاتَ ابنُ آدَمَ انقَطَعَ عَملُهُ إلاَّ مِن ثَلاث: صَدَقةٍ جَارِية، أو وَلدٍ صَالِحٍ يَدعُو لَه، أو عِلمٍ يُنتفَعُ بِه))**[162].

العلم له فضلٌ عظيم على صاحبه، يرفعه الله في الدّرجات العُلا، **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾**[163]، يرزقك خشية الله -تبارك وتعالى-: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾**[164]، يجعلك تفرِّق بين الأشياء **﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾**[165]، تعبد الله على بصيرة، تطبِّق أمر الله، وتجتنب ما حرَّم الله، لك أجر عملك، ولك مثل أجر كلِّ من تبعك من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا.

العلم دليلٌ على إرادة الله بك الخير **((مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُّ فِي الدِّينِ))**[166]، العلم راحة لك في أمر دينك ودنياك، فتزوَّد -يا عبد الله!- بالعلم النَّافع والعمل الصَّالح؛ بالتتلمذ على العلماء الربَّانيين الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، الذين ينفون عن كتاب الله -جلَّ وعلا- تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

فضَائلُ العِلم

---

[162] أخرجه مسلم (٥ / ٧٣)، وكذا البخاري في " الأدب المفرد " (٣٨).

[163] [المجادلة: ١١].

[164] [فاطر: ٢٨].

[165] [الزمر: ٩].

[166] متفقٌ عليه.

وَالعِلمُ سَبيلٌ لاَ يُفضِي بصَاحِبه إلاَّ إلى السَّعَادَة، وَلاَ يَقْصُرُ به عَن دَرَجَة الرِّفعَةِ وَالكَرَامَة. قَلِيلُه يَنفعُ، وَكَثِيرُه يُعلِي وَيَرفَع، كَنْزٌ يَزكُو عَلَى كُلِّ حَال، وَيَكثُر مَع الإنفَاقِ، وَلاَ يَغصِبُه غَاصِبٌ، وَلاَ يُخَافُ عَلَيهِ سَارِق وَلاَ محَارِب.

فَاجتَهِدَا في طَلَبه، وَاستَعذِبَا التَّعَبَ في حِفظِه، وَالسَّهرَ في دَرسِه، والنَّصَبَ الطَّوِيلَ في جَمعِه، وَواظِبَا عَلَى تَقييدِه وَرِوَايتَه، ثمَّ انتقِلاَ إِلَى فَهمِه وَدِرَايَتِه.

[الشرح]

ثمَّ أشار إلى بعض فضائل العلم: منبِّهًا ابنيه إلى ذلك، فمن أعظم فوائده أنَّه يرفعك في الدُّنيا والآخرة، ينفع قليله وكثيره، صاحب العلم له شأن عظيم عند الله -تبارك وتعالى-، **((فَضلُ العَالِمِ علَى العَابد كَفضلِي علَى أدنَاكُم))**[١٦٧] **((فَضلُ العَالِمِ علَى العَابِدِ كَفَضلِ القَمرِ لَيلَةَ البدرِ عَلَى سَائِرِ الكَواكِب، وإنَّ المَلائِكَة لَتضَعُ أجنِحَتَها لِطالِبِ العِلمِ رِضًا بِمَا يَصنَع))**[١٦٨]، وإنَّ العالم وطالب العلم ليستَغفرُ له من فِي السَّماوات وَالأرض حتَّى الحيتَان في جوف البحر، وأنَّه طريق الجنَّة **((مَن سَلكَ طِريقًا يَلتمِسُ فِيهِ عِلمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّة))**، وأنَّه سبب الرِّفعة، والمكانة العالية **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾**[١٦٩].

كما أنَّ العلم يجعل صاحبه في مصافِّ أهل العلا في الدُّنيا والآخرة، ومن أهل السَّعادة الذين يسعدون في دنياهم وأُخراهم، كما أنَّ من يطلب العلم دائمًا وهو في سكون وراحة ودَعة؛ لأنَّه واثق فيما عند الله، ولأنَّه حسن الظنُّ بالله، ولأنَّه كثير التطبيق لشرائع الله. طالب العلم يعمل وهو واثق من عمله؛ لأنَّه يعبد الله -تبارك وتعالى- على بصيرة، فعلينا أن نُعنى

[١٦٧] رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٤٢١٣.
[١٦٨] رواه أبو داود وابن ماجه، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب: (١/ ٦٣/ ٦٨).
[١٦٩] [المجادلة:١١].

بطلب العلم، وأن تجتهد في تحقيق منافعه وفوائده، وثمرة العلم هي العمل، كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله -تبارك وتعالى-.

[المتن]

قال – رحمه الله -:

رفعَة أهلِ العِلم

وانظُرَا أيَّ حَالَةٍ مِنْ أَحوَالِ طَبَقَاتِ النَّاسِ تختَارَان، وَمنْزِلَة أيِّ صِنفٍ مِنهُم تُؤثِرَان؛ هَل تَريَانِ أحَداً أرفَعَ حَالاً مِنَ العلَمَاءِ، وَأفضَلَ منْزِلةً مِنَ الفُقَهَاءِ؟ يحتَاجُ إلَيهِم الرَّئيسُ وَالمرؤُوس، ويَقتَدِي بهِم الوَضِيعُ وَالنَّفِيسُ، يُرجَعُ إلى أَقوَالِهِم في أُمُورِ الدُّنيَا وأَحكَامِهَا، وَصِحَّةِ عقُودِهَا وبِياعَاتِها، وَغيْرِ ذَلكَ مِنْ تَصرُّفَاتِها، وَإلَيهِم يُلجَأ في أُمُورِ الدِّين وَمَا يَلزَم مِنْ صَلاَةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ وحَلاَلٍ وَحرَام. ثُمَّ مَع ذَلكَ السَّلاَمَةُ منَ التَّبِعَات، وَالحَظوَةُ عِند جميعِ الطَّبَقَات.

وَالعِلمُ وِلاَيَةٌ لاَ يُعزَلُ عَنهَا صَاحِبُهَا، وَلاَ يَعرى مِن جَمَالهَا لاَبسُهَا، وَكُلُّ ذِي وِلاَيَةٍ وَإنْ جلَّتْ، وَحُرمَةٍ وَإنْ عَظُمَتْ، إذَا خرَج عَن وِلاَيتِه، أَو زَالَ عَن بَلدَته؛ أَصبَح مِنْ جَاهِهِ عَارِيًا، وَمِنْ حَالِه عَاطِلاً؛ غيْرَ صَاحبِ العِلم؛ فَإنَّ جَاهَه يَصحبُه حَيثُ سَارَ، وَيتقدَّمُه إلى جَميعِ الآفَاقِ وَالأقطَارِ، وَيبقَى بَعدَه في سَائرِ الأَعصَارِ.

[الشرح]

العلم رفعة لأهله كما تقدَّم ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة:١١]، والعلم راحة لصاحبه في أمر دينه ودنياه، والعلم يوصل صاحبه إلى

درجات العلا، والمناصب العظيمة ولو لم يطلب ذلك؛ ولذلك يُروى عن سفيان أنَّه قال: "طَلَبنَا العِلمَ لِغَيرِ الله فَأَبَى إلاَّ أَن يَكونَ لله"، وطالب العلم يعرف الحلال من الحرام، والخبيث من الطيِّب، والحق من الباطل كما تقدم، وطالب العلم له منزلة رفيعة عظيمة عند الرَّئيس والمرؤوس، والصَّغير والكبير والذَّكر والأنثى، والوضيع والشَّريف، كلُّهم يحترم من يطلب العلم؛ لأنَّهم بحاجة إليه.

طالب العلم ينفع إخوانه المسلمين بما يسديه إليهم من نصحٍ وعلمٍ ودعوةٍ وإرشاد، وما يوجِّههم به من خير في كتاب الله -جلَّ وعلا-، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، طالب العلم يملك كنوزًا لا تفنى بخلاف سائر المناصب، فالرَّئيس والمرؤوس والأمير والمأمور، والحاكم والمحكوم كلُّهم تتلاشى أمورهم بمجرَّد أن ينتقلوا من حال إلى حال، أمَّا صاحب العلم فإنَّه باقٍ في صدره يحمله معه حيث ما كان، فلو جُرِّد من جميع أموره، ومن جميع شئون دنياه؛ فإنَّه لا يمكن أن يجرَّد من علمه، فعليكم بالعلم فإنَّه طريق الهدى وطريق الهداية وطريق السعادة في الدَّارين.

[المتن]

قال – رحمه الله –:

أفضل العلومِ علمُ الشَّريعَة

وأَفضَلُ العُلُومِ عِلمُ الشَّرِيعَة، وَأفضَلُ ذَلكَ لمن وُفِّقَ أنْ يُجَوِّدَ قِرَاءَة القُرآنِ، وَيحفَظَ حَديثَ النَّبي صلى الله عليه وسلم وَيَعرفَ صَحِيحَه مِنْ سَقِيمِه، ثمَّ يَقرأُ أصُولَ الفِقهِ، فَيَتَفَقَّه في الكِتَابِ وَالسنَّةِ، ثمَّ يَقرَأُ كَلاَمَ الفقَهَاءِ، وَمَا نُقِلَ مِنَ المسَائِلِ عَنِ العُلَمَاءِ، ويَدْرَبَ في طُرُقِ النَّظَرِ وَتَصحِيحِ الأَدلَّة وَالحُجَجِ، فَهَذِه الغَايَة القُصوَى، وَالدَّرَجَةُ العُليَا.

[الشرح]

العلم درجات، وقبل أن نشرح كلام المصنِّف فإنَّ العلم نوعان:

علم يُعتبر فرض عين لا يُعذر به مسلم؛ بل تلزمه معرفته، **وعلمٌ هو فرض كفائي.**

فالعلم الذي هو فرض عين، معرفة التوحيد وما يضاده من الشّرك، معرفة أركان الإسلام وأركان الإيمان، معرفة الحلال من الحرام، هذا القدر فرض عين لابدّ منه.

وهناك ما هو فرض كفاية وهي كونه يسعى أن يكون موجِّهًا أو معلِّمًا أو مرشدًا أو مفقِّهًا أو محدِّثًا، أو نحو ذلك؛ فهذه الأمور فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقطت عن الآخرين، وإن تركوها جميعًا أثموا جميعًا.

وعلى المسلم أن يبدأ بالتدرُّج؛ فيبدأ بكتاب الله -جلَّ وعلا- تعلمًا وتعليمًا وتجويدًا وترتيلاً وفهمًا، ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[١٧٠]، ثمَّ بعد ذلك -أعني بعد أن يُتقن القرآن أو شيئًا منه ولو نظر ويحفظ ما استطاع أن يحفظ-، يبدأ بالسنة، أو يبدأ بهما جنبًا إلى جنب، فيحفظ مثلاً: (الأربعين النوويِّة)، ثمَّ يتعلَّم أصول الفقه وأصول الحديث، وأصول التّفسير، ثمّ الفقه، ثمّ التّفسير، ثمّ سائر العلوم، وقبل ذلك كله توحيد الله -سبحانه وتعالى-، والعقيدة الصَّافية المستمدَّة من الكتاب والسنَّة، والخالية من كلِّ كدر، ثمَّ يتبحَّر في سائر العلوم إن شاء؛ ولكن المهم أن يُتقن هذه المبادئ الأولية قبل كلِّ شيء.

وممَّا يجدر التَّنبيه إليه: أنَّ البعض من النَّاس يتعالمون ويدَّعون العلم، وهم ليسوا أهلاً لذلك؛ فيأخذون في النَّشر هنا وهناك قبل أن يكونوا مأهَّلين للعلم النَّافع، وربَّما أحدثوا فتنًا وسبَّبوا فُرقةً، وفسَّقوا وبدَّعوا وكفَّروا بغير علم، وهذا أمر في غاية الخطورة، وكلُّ ذلك ناتِجٌ عن ضعف العلم، وعن كونهم لم يأخذوا العلم عن أهله، لم يأخذوه عن العلماء الربَّانيين؛ وإنَّما

---

[١٧٠] [محمد:٢٤].

أخذوه من زُبالات الإنترنيت، أو من زُبالات الصُّحف، أو عن الموتورين من أهل الإفراط والتَّفريط، أو عن بعض أدعياء العلم الذين يستحلِّون بعض المحرَّمات، ويتجرَّؤون على الفتوى بغير علم؛ فمنهم من أحلَّ الغناء ومنهم من أحلَّ التمثيليَّات، ومنهم من أحلَّ اختلاط النِّساء بالرجال ومنهم من أحلَّ العزف والمعازف، ومنهم ومنهم، وكلٌّ هؤلاء بعيدون كلَّ البعد عن الجادَّة، ولا يتورَّع بعض الجهلة من أن يأخذ علومه عنهم فيضلُّ ويُضل؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **((إنَّمَا أَخشَى عَلَى أُمَّتِي الأئمَّةَ المُضلِّينَ))**[١٧١]، وقال صلّى الله عليه وسلم: **((إنَّ اللهَ لاَ يَنتزِعُ العِلمَ انتزَاعًا، ولكِن يَقبِضُهُ بِقَبضِ العُلَمَاء، حتَّى إذَا لَم يَبقَ عالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالاً فَسَأَلُوهُم فَأفتَوا بِغَيرِ عِلمٍ فَضلُّوا وأضلُّوا))**[١٧٢]؛ لذلك يجب أن نتنبَّه إلى خطورة التَّعالم، وعلى كلِّ مسلمٍ أن يعرف قدر نفسه، وأن يستحيَ من الله فلا يتكلَّم في مسالة وإلاَّ وعنده فيها علم من الله، أو من هدي رسوله صلى الله عليه وسلم.

[المتن]

قال –رحمه الله- :

التفقُّه في الدِّين

وَمَن قَصَّرَ عَن ذَلكَ، فَلْيَقْرأْ بَعدَ تَحفُّظِ القُرآنِ وروَايةِ الحَدِيثِ المسَائِلَ عَلَى مَذهَبِ مَالكٍ -رحمه الله-؛ فَهِيَ إذَا انفَرَدَتْ، أَنفَعُ مِنْ سَائرِ مَا يُقرَأ مُفرَدًا فِي بَابِ التفقُّهِ؛ وَإنَّمَا خَصَّصنَا مَذهَبَ مالكٍ -رحمه الله-؛ لأَنَّه إمَامٌ فِي الحَدِيثِ، وإمَامٌ فِي الرَّأيِ، وَلَيسَ لأَحَدٍ مِنَ العلَمَاءِ مِمَّن انبسَطَ مَذهبُه وَكَثُرَت فِي المسَائِلِ أَجوِبَتُه دَرَجَةُ الإمَامَةِ فِي المَعنيين؛ وَإنَّمَا

[١٧١] رواه أحمد، وصححه الألباني في الصحيحة برقم: ١٥٨٢.
[١٧٢] رواه البخاري (١/٥٠ ، رقم ١٠٠) ، ومسلم (٤/٢٠٥٨ ، رقم ٢٦٧٣).

يُشاركُه في كَثرَةِ المسَائِلِ وَفُرُوعِهَا وَالكَلاَمِ عَلَى مَعَانيهَا وَأصُولِهَا أبو حَنيفَة والشَّافِعِي، وَلَيسَ لأَحدِهِمَا إمَامَةٌ في الحَدِيث، وَلاَ دَرجَةٌ مُتوَسِّطَة.

[الشرح]

هنا يبيِّن المصنِّفُ –رحمه الله– أهميَّة التفقُّه في الدِّين، وذلك بدراسة القواعد وفقه الأئمَّة، والإفادة ممَّا تقدَّم من كتبهم، والتتلمذ على كتبهم، وفَهمِ قواعدهم وفهمِ أصولهم، وفهمِ مقاصد الشَّريعة؛ لأنّ ذلك يساعد ويعين على فهم الكتاب والسنَّة، والتأسِّي بالفقهاء الربَّانيين الذين جمعوا بين الرِّواية والدِّراية، وضرب لهم مثلا بالإمام مالك –رحمه الله تعالى-؛ وهو أعلم أهل زمانه –رحمه الله- والذي قيل فيه: (لاَ يُفتَى ومالكٌ فِي المَدِينة)، وهو الذي كان أشد النّاس على البدع، وهو الذي يقول: "مَن ابتَدَعَ بِدعةً يَرَى أنَّها حَسَنَةٌ، فقَد زَعَم أنَّ محمّدًا صلى الله عليه وسلم قَد خَانَ الرِّسَالة؛ لأنَّ الله -تبارك وتعالى- يقول: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾[١٧٣]".

فهنا يتجلّى التأسّي بأمثال الإمام "مالك" وغيره من أئمّة الهدى والدّين، من أمثال: الإمام "أبي حنيفة"، و"الشّافعي"، و"أحمد"، و"الثّوري"، و"سفيان بن عيينة"، و"اللّيث بن سعد"، و"الأوزاعي" و"عبد الرزّاق"، و"عبدُ بن حُميد"، و"البخاري"، و"مسلم"، وأصحاب السّنن الأربع، و"البغوي" و"ابن أبي بطّة العُكبري"، وشيخ الإسلام "ابن تيميّة"، وتلميذه "ابن القيّم"، وشيخ الإسلام المجدِّد "محمد بن عبد الوهاب"، وتلاميذه من أحفاده، وتلامذته، وأئمّة الهدى من بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فإذن ينبغي التأسِّي بهؤلاء، وأمَّا قول المصنِّف –رحمه الله – عن "الشَّافعي" بأنَّه ليس من أهل الحديث فهو محلُّ نظر، فـــ "الشَّافعي" من أهل الحديث، أمَّا "أبو حنيفة" –رحمه الله تعالى- فإنَّه كثيرًا ما يقف عند الرَّأي؛ ولكن إذا ظهر له الحديث اتَّبعه، كيف لا وهو القائل:

[١٧٣] [المائدة:٣].

"إذَا صَحَّ الحدِيثُ فَهوَ مَذهَبِي"، وقد قال ذات يوم له رجل عندما ذُكر حديث: **((أَكمَلُ المُؤمِنينَ إِيمَانا أَحسَنهُم أَخلاَقًا))**[١٧٤] قالوا: لم لا تردَّ عليه يا أبا حنيفة؟ قال: "وَيحَك أرُدُّ عَليهِ وَهُوَ يَقُول قَالَ رسُول اللهِ صلَّى الله عليهِ وسلَّم؟!". فعلينا أن نتأسَّى بهؤلاء الأئمَّة المباركين؛ سواءً من برع منهم في الفقه، أو من برع في الحديث، أو من جمع بين الأمرين.

[المتن]

قال –رحمه الله -:

النَّهيُ عَن قِرَاءَة كُتبِ المنطِقِ وَالفَلسَفَة

وَإِيَّاكُمَا وَقِرَاءَةَ شَيءٍ مِنَ المنطِقِ وَكَلاَمِ الفَلاَسِفَة؛ فَإِنَّ ذَلكَ مَبنيٌّ عَلَى الكُفرِ وَالإِلحَادِ، وَالبُعدِ عَنِ الشَّرِيعَةِ والإِبعَادِ.

[الشرح]

بعد أن حثَّ على قراءة القرآن والحديث والسنَّة، والسَّير على منهج السَّلف الصَّالح المُقتدى بهم؛ حذَّر ممَّا وقع فيه الكثير من النَّاس من الاشتغال بعلم الفلسفة والمنطق؛ حتَّى ضلَّ الكثير منهم بذلك عن سواء السَّبيل.

وعلم المنطق اختلف النَّاس في تعلّمه وتعليمه على ثلاثة أقسام:

قسمٌ: يجيزون تعلُّمه مطلقًا، **وآخرون** يحرِّمونه مطلقًا، **وآخرون** يقولون لا بأس أن يُتعلَّم بعد أن يكون ومتزوِّدًا من الشَّريعة، ومتمكِّنًا من العقيدة؛ حتَّى لا تنخدع بتلك القواعد المنطقيَّة التي كثيرًا ما تُفضِي بأصحابها إلى الضَّلال، والتي يقول أصحابها:

«نِهَايةُ إِقدَامِ العُقولِ عِقَالُ .. وأَكثرُ سَعيِ العَالِمِينَ ضَلالُ
وأَروَاحُنَا فِي وحشَةٍ مِن جُسُومِنَا .. وأكثرُ دُنيَانَا أذًى ووبَالُ

[١٧٤] رواه أحمد، والترمذي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: ٢٨٤.

ولَم نَستَفِد مِن بَحثِنَا طُولَ عُمرِنَا .. سِوى أن جَمعنَا فِيهِ قِيلَ وَقالُوا»

فانتبه يا عبد الله! انتبه لذلك، واحذر من الاغترار بأصحاب المنطق والفلسفة التي خرَّبت العقيدة، والتي هي العلمُ الذي يُدرِّس في العقيدة في أكثر بلاد المسلمين، فوا أسفاه! تركوا الكتاب والسنَّة، واقبلوا على زُبالات "جهم"، و"الجعد بن درهم"، و"واصل بن عطاء"، و"أبي الحسين البصري"، وغيرهم ممَّن جاء بعدهم!

فانتبهوا، والصَّحيح أنَّ فيه تفصيلاً في تعلُّم المنطق والفلسفة، فمن خشي على نفسه أنَّه يضرُّ به؛ يحرُمُ عليه تعلُّمه، ومن تضلَّع في الدِّين حتَّى أتقنه وأراد أن يستفيد بقوَّة الحجَّة والبيان ولو من باب الردِّ على الخصوم من خلال ما يؤمنون به؛ كان ذلك جائزًا، بعد أن يكون قد فهم العقيدة الصَّحيحة وابتعد عن كلِّ ما يُخالف ذلك.

[المتن]

قال -رحمه الله-:

قِرَاءَة كُتبِ المنطِق تَكُون بعدَ التمَكُّن فِي الدِّين

وَأحذِّرُكُمَا مِن قِرَاءتِهَا مَا لَم تَقرَءَا مِنْ كَلاَمِ العُلَماءِ مَا تَقويَانِ به عَلَى فَهمِ فَسَادِهِ وَضعفِ شُبَهِهِ، وَقِلَّةِ تَحقِيقِه؛ مَخَافَةَ أنْ يَسبقَ إلَى قَلبِ أَحدِكُمَا مَا لاَ يَكُونُ عِندَهُ مِنَ العِلمِ مَا يَقوَى بِهِ عَلَى رَدِّهِ؛ وَلذَلكَ أنكرَ جَمَاعَةُ العُلَماءِ -المتقدِّمِينَ وَالمتَأخِّرِينَ- قِرَاءَةَ كَلاَمِهم لَمن لَم يَكُن مِنْ أَهلِ المنْزِلَةِ وَالمعرفَةِ بِه؛ خَوْفًا عَلَيهِم مِمَّا خَوَّفتُكُمَا مِنهُ.

وَلَو كُنتُ أَعلَمُ أَنَّكُمَا تَبلُغَانِ مَنْزِلَةَ الميْزِ وَالمعرِفَةِ، وَالقُوَّة عَلَى النَّظَرِ وَالمقدِرَة، لَحَضَضتُكُمَا عَلَى قِرَاءَتِه، وَأَمَرتُكُمَا بمطَالَعتِهِ؛ لِتُحَقِّقَا ضُعفَه وَضُعفَ المعتَقِدِ لَه، وَرَكَاكَة

المغترِّ به، وأنَّهُ مِنْ أَقْبحِ المخَارِيقِ وَالتَّمويهَات، وَوُجُوهِ الحِيَل وَالخُزَعبَلاَتِ التي يَغترُّ بِهَا مَنْ لاَ يَعرِفُهَا، وَيستَعظِمُهَا مَنْ لاَ يُميِّزُهَا.

وَلذَلِكَ إِذَا حَقَّقَ مَنْ يَعلَمُ عِندَ أَحَدٍ مِنهُم وَجَدَهُ عَارِياً مِنَ العِلمِ، بَعِيداً عَنهُ، يَدَّعِي أَنَّه يَكتُمُ عِلمَهُ، وَإِنَّما يَكتُمُ جَهلَهُ، وَهُو يَنِمُّ عَلَيهِ، وَيَرُوم أَن يَستَعِينَ به، وَهُو يُعِينُ عَلَيهِ.

وَقَد رَأَيتُ بِبَغدَادَ وَغَيْرِهَا مَنْ يَدَّعِي مِنهُم هَذَا الشَّأنَ مُستحقَرًا مُستَهجَنًا مُستَضعَفًا، لاَ يُنَاظِرُهُ إِلاَّ المبتَدِئُ، وَكَفَاكَ بِعِلمٍ صَاحِبُه فِي الدُّنيَا مَرمُوقٌ مَهجُورٌ، وَفِي الآخِرَةِ مَدحُورٌ مَثبُورٌ. وَأَمَّا مَنْ يَتَعَاطَى ذَلكَ مِنْ أَهلِ بَلَدِنَا، فَلَيسَ عِندَه مِنهُ إِلاَّ اسْمُهُ، وَلاَ وَصَلَ إِلَيهِ إِلاَّ ذِكرُهُ.

[الشرح]

هنا يحذِّرُ زيادة من التعلُّق بالمنطق والفلسفة، وأنَّه لا يجوز للمسلم أن يُشغل نفسه بعلم المنطق؛ حتَّى يكون متمكِّنًا من الشَّريعة، وحتَّى يفهم كلام العلماء الربَّانيِّين ويتتلمذ عليهم، وحتَّى يفهم كيف ينقد هذا المنطق ويُبطله بالحجج القاطعة، والأدلَّة الواضحة، فيجب على المسلم أن يبتعد عنه إلاَّ بقدر الحاجة، وبعد أن يكون متضلِّعًا في الكتاب والسنَّة؛ لأنَّ كثيرًا ممَّن شُغِفَ بهذا العلم أفضى به الأمر إلى الحيرة؛ بل وربَّما إلى الردَّة؛ لأنَّه يشكِّكُ في السمعيَّات، ويؤكِّد وجوب الاقتصار على العقليَّات، ويعتمد على العقل المجرَّد والعقل وحده ليس بشيء، وما ليس بشيء فليس بشيء. نعم، يُعمل العقل ويُتدبَّر به؛ لكنَّه يكون مع النصِّ كالمقلِّد مع المتبوع، فلا يجوز أن يُشتغل بهذا العلم الفاسد. وكثيرًا ما ضلَّت عقائد النَّاس بسبب ذلك.

ولذلك رجع عنه كثير من السَّلف مثل: "أبي المعالي الجُويني" ويُقال إنَّ "الغزالي" رجع، كما يُقال إنَّ "الرّازيّ" قد رجع أيضًا، وكلُّهم ندموا على اشتغالهم بعلم المنطق، وتركهم علم

هدي الكتاب والسنَّة؛ لأنَّ علم الكتاب والسنَّة هو طريق النَّجاة وطريق السَّلامة، تصوَّر وتخيَّل من يقول لك: قال الله وقال رسوله؛ فتُجيبه ، وبين من يبني بيتًا على غير أساس،

«والبَيتُ لاَ يُبتَنَى إلاَّ لَهُ عَمَدٌ .. وَلاَ عِمَادَ إذَا لَم تُرفَع أوتَادُ»

وعلم المنطق أساس هشٌّ؛ قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**﴾[175].

[المتن]

قال – رحمه الله -:

الأمرُ بالمعرُوف وَالنَّهي عَنِ المنكَرِ

وَعَلَيكُمَا بِالأَمرِ بِالمعرُوفِ وَكُونَا مِن أَهلِهِ، وَانْهَيَا عَنِ المنكَرِ وَاجتَنِبَا فِعلَه.

[الشرح]

الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر: من أعظم شعائر الإسلام، بها يُنشر الدِّين، وبهما تقُوم الحجَّة، وبهما يُردع الظَّالم عن ظلمه، ويُنتصر للمظلوم، بِهما تُحفظ الأبدان، وتُحفظ الأديان، وتُحفظ الأعراض، وتُحفظ الأموال، وتُحفظ العقول.

نعم، بالأمر بالمعروف تسعد الأمَّة وتتمكَّن ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾[176]، قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**

[175] [التوبة: ١٠٩].
[176] [الحج: ٤١].

وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[177]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[178]، وقال جلَّ وعلا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾[179]، وما تُرك الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر إلاَّ وشقيت الأمَّة، وبقدر ما يقوم المسلمون بواجبهم نحو الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، بقدر ما تتحقَّق سعادتهم في الدُّنيا والآخرة.

[المتن]

قال -رحمه الله-:

طَاعَة وَلِيِّ الأَمرِ في غَيرِ مَعصِيةِ الله

وَأَطِيعَا مَنْ وَلاَّهُ اللهُ أَمرَكُمَا، مَا لَم تُدعَيَا إِلَى مَعصِيةٍ، فَيجِبُ أَن تَمتَنِعَا منهَا، وَتبذُلاَ الطَّاعَةَ فِيمَا سِوَاهَا.

[الشرح]

طاعة ولي الأمر من طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[180]، ويقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: ((مَن أَطَاعنِي فَقد أطَاعَ الله، ومَن أطَاعَ الأمِيرَ فقَد أَطَاعنِي وَمَن عصَى الأمِيرَ فَقَد عَصَانِي))[181].

---

[177] [آل عمران: ١٠٤].

[178] [الأعراف: ١٥٧].

[179] [آل عمران: ١١٠].

[180] [النساء: ٥٩].

[181] رواه أحمد وغيره، وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم: ١٠٦٥.

وأمر النَّبي صلى الله عليه وسلم بالسَّمع والطَّاعة وإن تأمَّر علينا عبدٌ، وأمر بالسَّمع والطَّاعة في العسر واليُسر، والمنشَط والمكره، وعلى أثرةٍ علينا، وأمر بالطَّاعة وإن جُلدت ظهورنا، وسلبت أموالنا **((أدُّوهم الذِي لَهُم وَاسأَلُوا اللهَ الذِي لَكُم))**[١٨٢] والطَّاعة تكون في حدود طاعة الله -جلَّ وعلا-، فإن أُمِرَ بمعصية فلا طاعة إنَّما الطَّاعة في المعروف، ولكن مع كونه لا يُطاع في المنكر، فإنَّ ذلك لا يُلغي طاعته فيما سوى ذلك.

[المتن]

قال – رحمه الله -:

التزَامُ الصِّدقِ واجتَنَابُ الكَذِب

وَعَلَيكُمَا بِالصِّدقِ؛ فَإِنَّهُ زَيْنٌ، وَإِيَّاكُما وَالكَذِبَ فَإِنَّهُ شَيْنٌ، وَمَنْ شُهِرَ بالصِّدقِ، فَهوَ نَاطِقٌ مَحمُودٌ، ومَنْ عُرِفَ بالكَذِبِ فَهوَ سَاكِتٌ مَهجُورٌ مَذمُومٌ، وَأَقلُّ عُقُوبَاتِ الكَذَّاب أَلاَّ يُقبَلَ صِدقُهُ، وَلاَ يَتحَقَّقُ حَقُّه، وَمَا وَصَفَ اللهُ تَعَالى أَحَدًا بِالكَذِبِ إلاَّ ذَامًّا لَه، وَلاَ وَصفَ اللهُ تَعَالى أَحَدًا بِالصِّدق إلاَّ مَادِحًا لَه وَمُرفِّعًا بِه.

[الشرح]

ثمَّ حثَّهما على الصِّدق في الأقوال والأفعال، وحذَّرهما ممَّا يضادُّ ذلك وهو الكذب؛ قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[١٨٣]، وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿**أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾[١٨٤] فعلىٰ المسلمين أن يُعنوا بذلك، يقول النَّبي صلى الله عليه

[١٨٢] وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كَانَتْ بَنُو إسرَائِيلَ تَسُوسُهُم الأَنبيَاء ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبيٌّ خَلَفَهُ نَبيٌّ ، وَإنَّهُ لاَ نَبيَّ بَعْدِي ، وَسَيَكُونُ بَعْدِي خُلفَاءُ فَيَكثُرُونَ))، قالوا: يا رسول الله! فَمَا تَأْمُرُنا؟ قَالَ: ((أَوْفُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّل فَالأَوَّل، ثُمَّ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، وَاسْأَلُوا اللهَ الَّذِي لَكُمْ ، فَإنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ)) متفقٌ عليه.

[١٨٣] [التوبة: ١١٩].

[١٨٤] [الحجرات: ١٥].

وسلم: **((عَلَيكُم بِالصّدق فَإِنَّ الصّدقَ يَهدِي إِلَى البرِّ، وإِنَّ البرَّ يَهدِي إِلَى الجَنَّة ولاَ يَزالُ الرَّجُلُ يصدُقُ ويتَحرَّى الصّدق حتَّى يُكتبَ عِندَ اللهِ صدِّيقًا، وإيَّاكُم والكَذِب فإنَّ الكَذِبَ يَهدِي إِلَى الفُجور، وإنَّ الفُجورَ يَهدِي إِلَى النَّار، ولا يزالُ الرَّجُلُ يَكذِبُ ويتَحرَّى الكَذِب حتَّى يُكتَبَ عِندَ اللهِ كذَابًا))**[١٨٥].

وإيَّاك يا عبد الله! وإياكِ يا أمة الله! أن تعلِّموا أبناءكم الكذب، البعض من النَّاس يأتيه أخوه لزيارته، فيقول للابن الصَّغير: قل لهم أبي غير موجود ، وهو موجود! تستطيع أن تتخلَّص بأيِّ عذر وأنت لست ملزمًا أن تستقبل النَّاس؛ لكن لا تعلِّم أبناءك الكذب؛ حتَّى ولو ببذل شيء من المال ثمَّ تتخلَّف عنه إذا وعدته بشيء فأعطه إيَّاه، والكذب من علامات المنافقين؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((آيةُ المُنافِقِ ثَلاث: إِذَا حدَّثَ كَذَب، وإِذَا وَعدَ أخلَف، وإذَا اؤتُمِنَ خَان))**[١٨٦].

[المتن]

قال – رحمه الله -:

أدَاءُ الأَمَانَة

وَعَلَيكُما بِأدَاءِ الأَمَانَة، وَإِيَّاكُما وَالإِلمَامَ بِالخِيَانَةِ. أَدِّيَا الأَمَانةَ إِلى مَنِ ائتَمَنَكُما، وَلاَ تَخُونَا مَنْ خَانَكُما، وَأَوفِيَا بالعَهدِ إنَّ العَهدَ كَانَ مَسؤُولاً.

[الشرح]

كذلك الأمانة؛ وهي كلُّ ما أمرك الله به أو نهاك عنه، فامتثال الأوامر أمانة، واجتناب النَّواهي أمانة، وليست الأمانة قاصرة على وديعة تُودع عندك، أو على شيء تُستحفظ إيَّاه؛

[١٨٥] أخرجه البخاري (٢٢٦١/٥ ، رقم ٥٧٤٣) ، ومسلم (٢٠١٢/٤ ، رقم ٢٦٠٧).
[١٨٦] أخرجه : البخاري ٨٠/٨ (٦٢٨٩)، ومسلم ١٦٠/٧ (٢٤٨٢) (١٤٥).

وإنَّما الأمانة أعظم من ذلك؛ بل هي الدِّين كلُّه، قال الله -جلَّ وعلا-: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[١٨٧]، وقال تبارك وتعالى: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾**[١٨٨]، ....

فالأمانة كما قلنا هي الدِّينُ كلُّه قد عرضها الله على السَّماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها؛ قال الله -تعالى-: **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾**[١٨٩]، والأمانة من أوَّل ما يُفقد من أمور الدِّين حتَّى يأتي في آخر الزَّمان يُذكر أنَّ بني فلان يوجد عندهم رجل أمين، فعلينا أن نُعنى بها وأن نؤدِّيها كما أمرنا الله -تبارك وتعالىٰ-، وخلاصتها امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وأمَّا الوديعة فهي جزء من هذه الأمانات **﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾**[١٩٠].

[المتن]

قال – رحمه الله -:

تَتمِيم الكَيلِ وَالميزَانِ

أَوفِيَا الكَيلَ وَالوَزنَ؛ فَإنَّ النَّقصَ فِيه مَقتٌ، لاَ يُنقِصُ المالَ، بَل يُنْقِصُ الدِّينَ وَالحَالَ.

[الشرح]

[١٨٧] [الأنفال: ٢٧].
[١٨٨] [المؤمنون: ٨].
[١٨٩] [الأحزاب: ٧٢].
[١٩٠] [النساء: ٥٨].

يجب على المسلم أن يُوفِّيَ الكيل والوزن، فإنَّ الوفاء بالكيل والوزن من العدل، وإنَّ عدم تحقيق ذلك غشٌّ للنَّاس، وأوفوا الكيل والوزن، ويقول تعالى: ﴿وَزِنُواْ بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾[191]، ويقول جلَّ وعلا -ذامًّا الذين يبخسون المكيال والميزان-: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[192]، فوفِّ يا عبد الله! أوفِ الكيل والوزن واجتهد في ذلك، وإيَّاك أن تُدخل على نفسك شيئًا حرامًا تصطَلِي بحرِّهِ يوم القيامة.

[المتن]

قال – رحمه الله -:

النَّهي عَن المشَارَكَة في سَفكِ الدِّمَاء المحرَّمَة

وَإِيَّاكُمَا وَالعَونَ عَلَى سَفكِ دَمٍ بِكَلِمةٍ، أَو المشَارَكَةَ فِيهِ بِلَفظَةٍ، فَلاَ يَزَالُ الإنسَانُ في فُسحَةٍ مِنْ دِينه مَا لم يَغمِسْ يَدَه أَو لِسَانَه في دَمِ امرِئٍ مُسلِمٍ. قَال الله تَعَالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[193].

[الشرح]

---

[191] [الإسراء: ٣٥].

[192] [المطففين: ١-٦].

[193] [النساء: ٩٣].

نهى ولديْهِ أن يُشاركا في سفك دماء المسلمين تحت أيَّة ذريعة من الذَّرائع، كما هو شأن الخوارج وغيرهم من دعاة الباطل، فعلى المسلم أن يطهِّر يديه من دماءِ المسلمين، وقتل مسلم واحد كقتل جميع النَّاس، قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾[١٩٤]، وقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ**﴾[١٩٥]، وعدَّ من السَّبع الموبقات قتل النَّفس التي حرَّم الله -سبحانه وتعالى-، ويقول النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم: ((**لاَ يَزالُ المَرءُ فِي فُسحةٍ مِن دِينِه مَا لَم يُصِب دَمًا حَرَامًا**))[١٩٦]؛ أي: ما لم يسفك دمًا حرامًا، وسواء كان ذلك بالحثِّ أو الحضِّ أو المشاركة باليد أو اللِّسان أو الكلمة: فكلٌّ ذلك يُدخل في الإثم -والعياذ بالله-، ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾[١٩٧].

وقد كثُر القتل في هذه الأزمنة وبعضه باسم الدِّين؛ من أمثال ما تفعله الشِّرذمة الباغية الخارجة على الدِّين وعلى الأمَّة، شرذمة البغي والضَّلال، شرذمة أصحاب الفتاوى القابعين في الكهوف ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾[١٩٨]، كم يتَّموا من أطفال، كم رمَّلوا من نساء، كم سفكوا من دماء، كم روَّعوا من آمنين، كم أخافوا من آمنين، كم أعانوا أعداء الإسلام على المسلمين، إنَّ الخوارج في هذا العصر قدَّموا خدمة لليهود لم يقدِّمها كثيرٌ من اليهود لليهود، وذلك بأن شغلوا المسلمين ببعضهم، ونادوا بفكر الخوارج وكفَّروا المسلمين، والرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: ((**مَن قَالَ لِأخِيهِ يَا**

---

[١٩٤] [البقرة: ٣٢].

[١٩٥] [الأنعام: ١٥١].

[١٩٦] رواه البخاري (٦/٢٥١٧ ، رقم ٦٤٦٩).

[١٩٧] [النساء:٩٣].

[١٩٨] [الكهف: ١٠٤].

كَافِر، فَقَد بَاءَ بِهَا أحَدُهُمَا))، يقول بعض السّلف: "لأَن أُخطِئَ فِي عَدَمِ تَكفِيرِ كَافِر، أحبُّ إليَّ مِن أَن أخطِئَ فأُكفِّرَ مُسلِمًا".

فانتبه -يا عبد الله!- واحذر من هذا الفكر الذي انتشر واستشرى بسبب ضُلاَّلٍ، جُهَّالٍ، سفهاءٍ، لا يعرفون من الدِّين إلاَّ رسمه، يلوون أعناق النَّصوص ويتلاعبون بها ، ويحرِّفون الكلم عن مواضعه، ولعلَ وراءهم من وراءهم من المنظَّمات الصهيونيِّة، والماسونيِّة، والرُّوتارِ، وغيرهم من منظَّمات الفسق والكفر. فعلينا أن نتنبَّه، وأن نرجع إلى العلماء الربَّانيِّين الذين وصفناهم لكم في درس البارحة.

وبهذا نختم درس اليوم، إلى الغد إن شاء الله، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

** ** ** ** ** ** ** **

الأسئلة

أحسن الله إليكم، وبارك فيكم، ونفعنا بما سمعنا، وجعله في ميزان حسناتكم.

السؤال:

يقول السّائل، هل "هاروت" و"ماروت" من الملائكة ؟

الجواب:

الذي يظهر أنَّهما ليسا من الملائكة، والأقوال في المسألة كثيرة ، وقد نُسج حول هذه المسألة أمور كثيرة، ولعلَّه يُتوسَّع فيها في وقت آخر -إن شاء الله تعالىٰ-.

** ** ** ** ** ** ** **

السؤال:

أحسن الله إليكم يقول السّائل، يقول بعضهم أن صاحب (الظِّلال) قد تاب، وأنَّه من أهل السنّة، وأنَّنا نأخذ من كتبه الحق، وندع الباطل، وأنَّهم يطعنون فيمن يحذِّر منه ؟

الجواب:

ثبِّت العرش ثمَّ انقُش.

** ** ** ** ** ** ** **

السؤال: يقول أحسن الله إليكم، ذكرتم حفظكم الله التّحذير من كتب الفلاسفة والمناطقة، فما هي الكتب التي تحذِّرون منها في هذا الزّمان ؟

الجواب:

منها: كتب صاحب (الظِّلال)، ومنها: (أمُّ البراهين الكبرى) و(أمُّ البراهين الصّغرى) و(الجوهرة)، و (شروح الجوهرة) شرح "ابن عاشر" وغيرها، ومنها (المواقف) للأَيجي، وكتب (الرَّازي)، وكتب المعتزلة، وكتب الجهميَّة، كلُّها يجب البعد عنها، وكتب الإخوان المسلمين،

وكتب تلاميذ "سرور"، وغيرها من الكتب الضالَّة، وكتب الرَّافضة، وكتب المتصوِّفة، كلُّ هذه كتب مليئة بالضَّلال.

فـ (الظِّلال) مليء بالضَّلال؛ فيه تكفير المسلمين، وفيه غمز الأنبياء، وفيه النَّيل من الصَّحابة، وفيه إنكار أسماء الله وصفاته، وفيه القول بوحدة الوجود، وفيه تصديق القصص التَّاريخي، وتكذيب الأحاديث النبويِّة، وفيه تحريف القرآن عن مواضعه، وهو ليس كتاب تفسير كما يزعم الزَّاعمون؛ بل هو كتاب (تخسير) بالخاء، فاحذر منه يا عبد الله! فإنَّه لقوَّة أسلوبه ولبلاغة ألفاظه قد يؤثِّر على السُّذَّج الذين ليس عندهم علم بالعقيدة.

ونحن لا نتكلَّم بمصير، ولا في مآله عند ربَّه فقد أفضى إلى ما أفضى إليه، والله أعلم بما إذا كان معذورًا بجهله أم لا؛ لكن يجب التَّحذير من كتبه، أنا أقول: ليس فيها خير مطلقًا؛ بل شرُّها أكثر من خيرها، كتبه مليئة بالشر، كيف يحلو لك أن تقرأ كتبًا وتُشغف بها، وفيها غمز لأنبياء الله -عزَّ وجل-؟!

لو جاءك واحد من الشّارع الآن وقال لك نبيَّ الله موسى –عليه السَّلام– عصبيِّ المزاج أظنُّك يمكن إلاّ أن تتذكّر من خلفك، تقتله، صح ولا؟

فهذا الرَّجل يقرِّر هذا الكلام، ينال من أنبياء الله! ينال من الصَّحابة! يضلِّل "عثمان"، ويجعله صاحب هوى ومحابيًا! يكفِّر "معاوية" وكلَّ من شارك في (صفِّين والجمل)!!

يا أخي! هذا مسكين، العجيب أنَّ هؤلاء الذين يغارون عليه لا يغارون على أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم!! وهذه تناقضات، إن كانت عندك غيرة فلتغر على أنبياء الله الذين سبَّهم، ولتغر لأصحاب رسول الله الذين كفَّرهم.

أيُّهما -بالله عليك- أحقُّ بأن يُغار عليه، بأن تَغار لَه -ليست إغارة- بأن تغار له: أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، أم أصحاب الفكر التكفيري الذي أضلَّ أمَّة من البشر؟! وكلُّ التكفريِّين والخوارج المعاصرين كلُّهم قد استقوا هذا الفكر من كتبه، الذي كفَّر به عامَّة الأمَّة.

فانتبه وإيَّاك والعاطفة، إيَّاك والعاطفة، عليك بقال الله وقال رسوله، أحدهم قيل له: لو أنَّ رجلاً قال لك إنَّ موسى عصبي المزاج؛ قال: نعوذ بالله! هذا كفر، قال: وإذا كان الذي قاله صاحب الضّلال، قال: لا لا لا، ما عاذ الله لعلَّه يقصد معنى آخر، وعَينُ الرِّضَا عَن كُلِّ عَيبٍ كَلِيلةٌ أليس كذلك؟!

ولذلك هذا ذكَّرني بموقف، كنَّا في بلد من بلاد المسلمين فجاءنا بعض دعاة "الخُميني" - الذين يدعون لمبايعة "الخُميني"- وهم من أهل ذلك البلد السنِّي ليسوا من الرَّافضة، هم من بلد سني؛ ولكنَّهم قد بايعوه وزوَّجهم ومتَّعهم - وهذا هو بيت القصيد لعلَّه-، المهم، أخذ يُجادل ومعي جمع من طلبة العلم منهم شيخنا الشيخ "علي بن ناصر الفقيهي" وأخونا الشّيخ "عبد العزيز الصّاعدي" والدّكتور: "عوض الشّهري" وغيرهم من إخواننا.

المهم لَمَّا أكثر الجدل هو يريد منّا أن نبايع إمامه الطَّاغية الفقيه الذي له حقَّ التَّشريع من دون الله بزعمهم. نعم، ولاية الفقيه، انظر لَمَّا أكثروا الجدال وجَّهت إليه هذا السَّؤال، قلت له: يا فلان! لو أنّي قلت لك: إنَّ من ضرورات مذهبنا أنَّ لأئمَّتنا درجة لا يبلغها ملك مقرَّب ولا نبيٍّ مُرسل، قال: نعوذ بالله! أنت كافر لو قلت هذا، قلت: ولو قاله "الخُميني"، قال: لا لا لا؛ لأنّه يُجاهد في سبيل الله، والله تعالى يقول: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[١٩٩]، أرأيتم؟! حبّك الشّيء يُعمي أو يُصم!!

فهؤلاء الذين يُنافحون عن كُتب (الظِّلال) المليئة بالضَّلال، مساكين! ما عندهم فرقان، عندهم عاطفة. أنا أكرِّر وأقول: نحن لا نتكلَّم في مصيره يا مساكين! ما نتكلَّم في مصير الرَّجل ولا في مآله عند ربِّه، رُبَّما كان جاهلاً فيُعذر بجهله؛ لكن كُتبه لابدَّ من طرحها، والحمد لله قد صدرت الأوامر بإبعادها عن المدارس وعن المكتبات.

فليتَّق الله أصحاب المدارس والمعاهد والجامعات وليسحبوها من تلك المكتبات تنفيذًا لتلك الأوامر؛ لأنَّ من قرأها كفَّر المسلمين. أحد الذين تأثَّروا بهذه الكتب وقف في بلد ما

[١٩٩] [العنكبوت: ٦٩].

وقال: لقد انتهى الإسلام من الأرض ولم يبق مسلمًا إلاَّ أنا وزوجتي ورجل يُذكر في الهند، أرأيتم؟! كيف تضلُّ تلك الكتب وتُبعد عن الجادَّة؟!

فاتّقوا الله واختاروا لأولادكم وأبنائكم ما يقرؤون، واعرفوا مع من يمشون، ومع من يسرحون، هل يسرحون مع أصحاب الشَّهوات الإباحيِّين، أصحاب الفضائيِّات الذين يدعون إلى الخنا والزِّنا والإباحيَّة، أم يمشون مع الخوارج المارقين الذين يُكفّرون المسلمين والذين أضلَّتهم كتب (الظِّلال) وغيرها، فاتّقوا الله عباد الله! **﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾**[٢٠٠].

وفَّقني الله وإيَّاكم للعلم النَّافع والعمل الصَّالح، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه.

[٢٠٠] [البقرة:٢٨١].

المجلس الرابع

[المتن]

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّه الأمين محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، أمَّا بعد:

فيقول الشّيخ الفقيه الإمام الحافظ: أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي –رحمه الله تعالى وغفر له ولشيخنا ولنا وللمسلمين– في وصيّته لولديه:

[لا تقربوا الزنى]

واجتِنَابُ الزِّنَى مِنْ أَخلاَقِ الفُضَلاَء، وَمُوَاقعَتُه عَارٌ فِي الدُّنيَا وَعذَابٌ فِي الأُخرَى؛ قَال اللّٰهُ تعَالَى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾[٢٠١].

[الشرح]

بسم الله الرحمٰن الرحيم، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

بدأ المصنِّف –رحمه الله تعالى– يحذِّر من بعض الفواحش؛ يحذِّر ابنيه ويوصيهما بالابتعاد عن بعض المعاصي والمخالفات الشرعيِّة فيما تبقَّى من الوصيِّة. وبدأ هنا بتحذيرهما من ذنب عظيم من أعظم الذّنوب، تنتج عنه مفاسد خطيرة: اختلاط الأنساب وضياعها، كثرة الأمراض وانتشارها؛ ألا وهو: داء الزنى -والعياذ بالله-، قال الله تبارك وتعالى: **﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾**، وقال جلَّ وعلا: **﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ**

---

[٢٠١] [الإسراء: ٣٢].

الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[202]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: **((لاَ يَحِلُّ دَمُ امرئٍ مُسلِمٍ، إلاَّ بِإحدَى ثَلاث: النَّفسُ بالنَّفسِ، والثِّيبُ الزّانِي، والتَّارِكُ لِدِينِهِ المفَارِقُ للجَمَاعَة))**[203].

فاحذروا من هذا الدَّاء والمرض الخطير؛ الذي انتشر في بلاد الغرب وفي بعض بلاد المسلمين الذين فُتنوا بتبعيَّة الغرب؛ بل ربَّما كانت له دُور خاصَّة حتَّى في بعض البلاد الإسلاميِّة -والعياذ بالله-؛ وهذا نتيجة لبعدهم عن الله وزهدهم في دينهم؛ أن يقلِّدوا الغرب حتَّى في فتح أبواب الشرِّ وكأنَّها أمور مستحلَّة -والعياذ بالله-؛ حتَّى لو لم يستحلِّوا فإنَّ الأمر في غاية الخطورة وربَّما جرَّهم ذلك إلى الاستحلال. وقد سمعنا من بعض الأوباش أنَّ هذا الأمر أمر عادي ولا بأس به في بعض البلاد العلمانيِّة، فعلينا أن نتنبَّه لهذا وأن نحذر كلَّ الحذر من التبعيَّة للغرب بأيِّ شكلٍ من أشكال التبعيَّة؛ ولذلك انتشرت الأوبئة والأمراض؛ مثل: مرض الإيدز ، ومرض السّيلان، ومرض الزُّهري، وكثير من الأمراض التي أعيت الأطباء في البحث لها عن علاج، والعياذ بالله.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

اجتناب الخمر

وَإيَّاكُمَا وَشُربَ الخَمرِ؛ فَإنَّها أمُّ الكَبَائرِ، والمجرِّئَةُ علَى المآثِم، وقَد حَرَّمَها اللهُ تَعالَى في كِتَابِه العَزيزِ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائلٍ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي

[202] [الفرقان: ٦٨-٦٩].
[203] متفقٌ عليه.

الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٢٠٤] وَحَسبُكُمَا بشيءٍ يُذهِبُ العَقلَ، ويُفسد اللُّبَّ. وَقَد تركَها قومٌ في الجَاهِليَّة تكرُّماً، فإيَّاكُما وَمُقَاربَتَها، وَالتدنُّسَ برِجسِهَا، وَقَد وَصَفَها اللهُ تَعَالى بذَلك، وَقرَنَها بالأنصَاب وَالأزلاَم، فَقَال عَزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢٠٥]. فبيَّنَ تَعَالَى أَنَّها مِنْ عَمَلِ الشَّيطَانِ، وَوصَفَها بالرِّجس، وقرَنَ الفلاَحَ باجتِنابِها، فَهَل يَستَجيزُ عَاقِلٌ يُصدِّقُ البَارئَ في خَبَرِه تَبَارك اسْمُه، وَيعلَم أنَّه أَرَاد الخيْرَ لَنا فِيمَا حَذَّرنَا عَنهُ مِنهَا أنْ يقربَها أو يَتَدنَّسَ بِهَا.

[الشرح]

الخمر: ما خامر العقل وغطَّاه وغيَّره ولو بقليل، وما أسكر كثيره فقليله حرام، وهو محرَّم بنصِّ الكتاب والسنّة، وقد تركه العقلاء في الجاهليَّة لما ينتج عنه من ذهاب العقل الذي ميَّز الله به الإنسان على غيره من المخلوقات، وقد حرَّمه الله –تعالى- بالتدَرَّج حتَّى تركه النَّاس، وكان عمر –رضي الله عنه- يتمنَّى اليوم الذي يأتي فيه تحريم الخمر، عمر –رضي الله عنه وأرضاه- الذي كان كثيرًا ما ينزل القرآن موافقًا لرأيه –رضي الله عنه وأرضاه، وأخزى الله من أبغضه وقلاه-، حتَّى نزلت الآية الكريمة بعد التدرج.

أوَّلاً: نزل قول الله تعالى: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾ فكان النَّهي مقتصرًا على قربانها قرب وقت الصَّلاة؛ ثمّ حسم الأمر بآيات المائدة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾؛ فقال الصَّحابة: (انتَهينَا انتهينا).

[٢٠٤] [المائدة:٩١].
[٢٠٥] [المائدة:٩٠].

وهي أمُّ الخبائث، وأمُّ الخبال من شربها في الدُّنيا حُرِّم عليه خمر الآخرة، الذي هو لذَّة للشَّاربين، فكيف يقدم العبد على ما يُذهب عقله ويجعله كالحيوان؛ بل إنَّ الحيوان يمكن أن يوجِّه فيتوجَّه، أمَّا من فقد عقله من بني البشر فإنّه كلٌّ على أهله أينما توجِّهه لا يأتي بخير. فاحذروا من هذا، وما ماثله من المسكرات والمخدِّرات والمفتِّرات ، والحشيش ، والأفيون وغير ذلك ممَّا غزانا به أعداء الإسلام وروَّجوه بين شباب الأمَّة، وجعلوا كثيرًا منهم في عالم آخر بعيدًا عن وعيه، بعيدًا عن عقله، بعيدًا عن حصافته، بعيدًا عن لبِّه، وأصبح -والعياذ بالله- الحيوان خيرًا منه، وأفقه منه، وأعلم وأزكى منه.

كيف يُقدم على أن يُخرب عقله بيده، وبنفسه، وقد منَّ الله عليه وبهذا لعقل الذي ميَّزه بها على سائر المخلوقات؟!

[المتن]

قال –رحمه الله-:

التحذير من الربا

وَإِيَّاكُمَا وَالرِّبَا؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَد نَهَى عَنهُ، وَتَوعَّدَ بمحَارَبَة مَنْ لَم يتُبْ مِنه، فَقَال عَزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ﴾[٢٠٦]. وَقَال تعَالى: ﴿يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[٢٠٧].

[الشرح]

[٢٠٦] [البقرة: ٢٧٩-٢٧٨].

[٢٠٧] [البقرة:٢٧٦].

الرِّبا من أكبر الكبائر التي حرَّمها الله –جلَّ وعلا-؛ لأنَّه أكلٌ لأموالِ النَّاس بالباطل، ولأنَّه زيادة محرَّمة، وسواء كان في ذلك **ربا الفضل**؛ وهو: بيع الأنواع الرِّبويِّة متفاضلة، وإذا كانتا من جنس واحد.

أو **ربا النَّسيئة**: وهو أن يبيعه سلعة إلى أجل، فإذا حان الأجل قال له زد حتَّى أؤجِّل لك، وهكذا يؤجِّل، وهو ما تعمل به أكثر الدُّول الرَّأسمالية الآن. والرِّبا من أخطر الأعمال، وهو من السَّبع الموبقات؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((اجتَنِبُوا السَّبعَ المُوبِقَاتِ))**[٢٠٨]، وذكرَ منها: الرِّبا.

وقد ذكر المصنِّف –رحمه الله- الآيات: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ**﴾[٢٠٩] ويقول تبارك وتعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾[٢١٠]، وقد لعن النَّبي صلى الله عليه وسلم آكل الرِّبا، ومُوكله، وكاتبه وشاهديه، فاحذروا من ذلك -عباد الله-.

ونحن في زمن كثر فيه الرِّبا، وكثرت فيه البنوك الربويِّة حتَّى في بلاد المسلمين، وقلَّ أن يوجد بنك لا يسلم من التَّعاطي بالرِّبا، فابتعدوا عنه وعن كلِّ عمل يؤدِّي إليه عباد الله.

[المتن]

[٢٠٨] أخرجه البخاري (٣/١٠١٧ ، رقم ٢٦١٥) ، ومسلم (١/٩٢ ، رقم ٨٩).

[٢٠٩] [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

[٢١٠] [البقرة: ٢٧٥-٢٧٦].

قال –رحمه الله-:

التحذير من أكل مال اليتيم

وَلاَ تَأكُلاَ مَالَ أَحَدٍ بِغيْر حَقٍّ. وَإيَّاكُمَا وَمَالَ اليَتِيم، فَقَد قَالَ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[211].

[الشرح]

اليتيم: هو من فقد أباه قبل البلوغ، وقد حثَّ الله -عزَّ وجل- على رعايته والعناية به، قال تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾، وقال جلَّ وعلا: ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**﴾[212]، ويقول النّبي صلى الله عليه وسلم: ((**أنَا وكَافِلُ اليَتِيمِ كَهَاتَيْن فِي الجنَّة**)) وأشار بإصبعه السبَّابة والتي تليها[213]. فالعناية باليتيم أمرها عظيم، وتجب العناية بهم، ولا يجوز الأكل من مالهم ﴿**وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[214]، وقد حثَّ الله على الإنفاق على اليتامى، وأمر بالعناية بهم، وأكل مال اليتيم من السَّبع الموبقات أيضًا.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

الحث على طلب الحلال

[211] [النساء:١٠].
[212] [الضحى: ٩].
[213] رواه البخاري (٥/٢٢٣٧ ، رقم ٥٦٥٩).
[214] [النساء: ٦].

وَعَلَيكُمَا بطَلَبِ الحَلاَلِ وَاجتِنَابِ الحَرامِ، فَإنْ عَدِمتُما الحَلاَلَ فَالجَئَا إلَى المتشَابه.

[الشرح]

يقول النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم: ((**إنَّ الحَلاَلَ بَيّنٌ، وَإنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وبَينهُمَا أُمورٌ مُشتَبِهَاتٌ، فَمَن وَقعَ فِي الشُّبُهَات فقَد وَقَع فِي الحَرام، كَالرَّاعِي يَرعَى حَولَ الحِمَى يُوشِكُ أن يَرتَعَ فِيهِ، ألاَ وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، ألاَ وإنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُه**))[٢١٥]، فالحرام ما حرَّمه الله ورسوله، والحلال ما أحلَّه الله ورسوله، فاجتهد -يا عبد الله!- في معرفة الحلال لتفعله، والحرام لتجتنبه، واجتهد فيما يقرِّبك إلى الله، وابتعد عن الشُّبهات.

والمصنِّف عندما يقول: (فَإنْ عَدِمتُما الحَلاَلَ فَالجَئَا إلَى المتشَابه)؛ يعني :لو قُدِّرَ أنَّ إنسانًا في مكان منقطع انقطعت به السُّبل، و لم يجد إلاَّ بعض المتشابهات؛ فإنَّه لا بأس أن يأخذ منها ما يتزوَّد به حتَّى تزول تلك الكربة.

ولكنَّ الوقوع في الشُّبهات يوقع في الحرام، كما دلَّ على ذلك الحديث، فالذين يتساهلون في المتشابهات، قد يقعون يومًا ما في الحرام الصَّريح، ويتساهلون؛ لأنَّهم يتساهلون شيئًا فشيئًا، حتَّى يستمرئوا ذلك فلا يفرِّقون بين حلال وحرام، يعني كثرة الإمساس تورث قلَّة الإحساس.

«مَن يَهُن يَسهُلُ الهَوانُ عَليهِ .. مَا لِجُرحٍ بِميِّتٍ إيلاَمُ»

ولذلك حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من الوقوع في الشُّبهات حتَّى لا تقع في الحرام، وكلُّ جسمٍ تغذَّىٰ على الحرامِ فالنَّار أولى به. والحرام قليل بالنِّسبة للحلال، فلماذا -يا عبد الله!- تعمد إلى الحرام، الذي هو قليل وتترك ما أحلَّ الله لك وهو الكثير؟! ﴿**قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ**

[٢١٥] رواه البخاري (١/٢٨ ، رقم ٥٢)، ومسلم (٣/١٢١٩ ، رقم ١٥٩٩).

خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ﴾[216] وغير ذلك من المحرَّمات القليلة، في الخمر ولحم الخنزير وما إلى ذلك؛ يعني أشياء قليلة، وكلُّ ذي ناب من السِّباع، وكلُّ ذي مخلب من الطَّير، والمستقذرات، والسُّموم، وكلُّ ما يضرُّ بالبدن، وما بقي فقد سخَّره الله لك **﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾**[217].

وأكل الحرام من أعظم أسباب عدم إجابة الدّعاء، لذلك فإنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم ذكر ذلكم الرَّجل الأشعث الأغبر الذي يطيل السَّفر، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وغُذِّيَ بالحرام فأنَّى يستجاب لذلك.

من المحرَّمات التي يتساهل بها النَّاس: التَّساهل في استعمال السيَّارات الخاصَّة بالعمل الوظيفي فتستغلِّها لبيتك ولحاجاتك الخاصَّة.

ومن ذلك -يا عبد الله!-: التحيَّل على أموال العامَّة، وما يسمِّيها بعض النَّاس بأموال الدَّولة، والتي يظهر أنَّها أشدُّ حرمة من غيرها؛ لأنَّها اعتداء على جميع أموال المسلمين، أو يتحيَّل على البنزين وفواتير البنزين، أو يتحيَّل على الفواتير بحيث إذا أرسل ليشتري شيئًا وقيمته عشرة، يكتبها بعشرين، وإذا كان بخمسين يكتبها بمئة، وإذا كان بألف يكتبها بألفين، ثمَّ يصطلي بحرِّها بعد أن يتركها غدًا يتضارب عليها الورثة، وهو يتقلَّب في جهنَّم بسببها.

فاحذر من هذا -يا عبد الله!- اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمَّن سواك.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

---

[216] [الأنعام: ١٤٥].

[217] [البقرة:٣٠].

تحريم الظلم

وَإيَّاكُما والظَّلمَ؛ فإنَّ الظُّلمَ ظُلمَاتٌ يومَ القِيامةِ، والظَّالِمُ مَذمُومُ الخَلائقِ، مُبَغَّضٌ إلَى الخَلائقِ .

[الشرح]

يقول الله جلّ وعلا: ﴿وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[218]، ويقول: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[219]، ويقول تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[220]

والظُّلم ثلاثة أنواع:

ظلمٌ عظيم لا يغفر الله لمن مات عليه؛ ألا وهو: **الشِّرك بالله**، فمن مات وهو لا يشرك بالله دخل الجنَّة ونال الأمن في الدُّنيا والآخرة، قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ [أي بشرك] أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[221]، قال الصَّحابة: يا رسول الله! وأيُّنا لم يظلم نفسه وجثوا على الرُّكب، فقال: **((لَيسَ الظُّلمَ الذِي تَعنُونَ، إنَّهُ الشِّركُ؛ أَلاَ تَعلَمُون قَولَ العَبدِ الصَّالِحِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾))**[222].

وظلمٌ لا يترك الله منه شيئًا؛ وهو **ظلم العباد فيما بينهم**؛ حتَّى إنَّه ليقتصُّ للشَّاة الجنحاء من ذات القرون، فهذا لابدَّ أن يُقتصَّ لصاحبه.

---

[218] [البقرة: ٢٥٨].

[219] [المائدة:٥١].

[220] [لقمان:١٣].

[221] [الأنعام: ٨٢].

[222] أخرجه البخاري (٣/١٢٢٦ ، رقم ٣١٨١)، ومسلم (١/١١٤ ، رقم ١٢٤).

وظلمٌ **فيما بين العبد وبين ربِّه**، وهو ما يرتكبه من ذنوبٍ دون الكفر بالله، فصاحبها تحت مشيئة الله، إن شاء الله غفر له بفضله وإن شاء عذَّبه بعدله، ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[223].

فاحذروا الظُّلم بأنواعه، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**إيَّاكُم والظُّلم، فإنَّهُ أهلَكَ مَن كَانَ قَبلكُم**))[224]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله -جلَّ وعلا- أنَّ الله تعالى يقول: ((**يَا عِبَادِي إنِّي حَرَّمتُ الظُّلمَ علَى نَفسِي وجَعَلتُهُ بَينَكُم مُحرَّمًا فلاَ تَظَالَمُوا**))[225] فالظُّلم ظلماتٌ يوم القيامة، ودعوة المظلوم مستجابة وإن كان كافرًا، يقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: ((**وَاتَّقِ دَعوَةَ المَظلُومِ، فَإنَّهُ لَيسَ بَينَهَا وبَينَ اللهِ حِجَابٌ**))[226]، فليتخلَّص المسلمون من المظالم، ومن أكل الأموال المحرَّمة.

وأودُّ أن ألفت نظر الذين ابتلوا ببعض أكل المال الحرام، بأنَّ الدَّولة -وفَّقها الله- قد جعلت لمن أراد أن يتخلَّص من مظالمه الماليَّة مخرجًا -بفضل الله تبارك وتعالى-؛ وهو الذي سُمِّي: إبراء الذِّمَّة، فبإمكانك أن تعيد المظلمة العامة -التي من الأموال العامَّة- إلى تلك الصَّناديق في البنك (صندوق إبراء الذِّمَّة). قد يُزيِّن لك الشَّيطان شيئًا، ثمَّ تفيقُ من غفلتك وتصحو من نومتِك، فاذهب إلى ذلكم الصُّندوق وأعد ما اختلست من أموال، وأمَّا إن كان لأشخاص معيَّنين، فعليك أن تعيدها بأعيانها إليهم، أو تردَّ لهم بدلها أو تستسمحهم في ذلك.

[المتن]

قال -رحمه الله-:

[223] [الكهف:٤٩].

[224] وجدته بلفظ: ((... **وَإِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ هُوَ الظُّلُمَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...**)) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم، وصححه الألباني في في صحيح الترغيب والترهيب برقم: ٢٦٠٣.

[225] أخرجه مسلم (١٩٩٤/٤، رقم ٢٥٧٧).

[226] رواه البخاري ومسلم.

التحذير من النميمة

وَإِيَّاكُما والنَّمِيمةَ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَمقت عَلَيهَا مَنْ تُنقلُ إِلَيهِ، وَقَد رُوِيَ عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال: ((لاَ يَدخُل الجَنَّةَ قَتَّاتٌ)).

[الشرح]

النَّميمة: نقلك الكلام من أناس إلى آخرين بقصد الإفساد بينهم، وهي محرَّمة، يقول بعض الحكماء: (يُفسِدُ النَّمامُ فِي سَاعة، مَا لاَ يُفسِدُهُ السَّاحِرُ فِي سَنَة)؛ لأنَّ ضرر السَّاحر قاصرٌ على من سحر، أمَّا النَّميمة فقد يمتدُّ ضررها إلى أن يقوم حرب بين بلدين أو قبيلتين أو دولتين أو أمَّتين أو نحو ذلك؛ ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **((لاَ يَدخُلُ الجَنَّة قتَّاتٌ))**[٢٢٧]، والقتَّات: هو النَّمَّام.

وقد مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال: **((إِنَّهمَا لَيُعذَّبَان، ومَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِير، أمَّا أحَدهُمَا فَكَانَ يَمشِي بالنَّمِيمَةِ، وأمَّا الثَّاني فكَانَ لاَ يستَبرِئُ مِن بَولِهْ))**[٢٢٨]، أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فاحذر -يا عبد الله!- وصن لسانك من النَّميمة والغيبة وغيرها من الموبقات.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

النهي عن الحسد

وَإِيَّاكُمَا والحَسَدَ، فَإِنَّه دَاءٌ يُهلكُ صَاحبَه، وَيُعطِبُ تَابِعَه.

[الشرح]

[٢٢٧] متفقٌ عليه؛ رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

[٢٢٨] البخاري (١/٨٨ ، رقم ٢١٥) ، ومسلم (١/٢٤٠ ، رقم ٢٩٢).

الحسد: تمنِّي زوال النِّعمة عن الغير، وفرقٌ بينه وبين الغِبطَة؛ الغِبطَة أن تغبطَ زيدًا على ما حباه الله من خير وتتمنَّى مثله مع بقاء ما منحه الله إيَّاه؛ ولذلك يجوز تمنِّي المال لمن ينوي أن يعطيه حقَّه، وصاحبه يُقرن بمن كان عنده مال يُنفق منه؛ ولذلك يقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: **((فهُمَا فِي الأَجرِ سَوَاء))**[٢٢٩].

وأمَّا الحسد فهو تمنِّي زوال النَّعمة عن الغير، وقد أُمرنا أن نستعيذ بالله من الحسد وأهله **﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾**[٢٣٠]، **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ﴾**[٢٣١]، ويقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: **((لاَ تَحَاسَدُوا، ولاَ تَباغَضُوا، ولاَ تَقاطَعُوا، ولا تَهاجَرُوا ، ولاَ تَدابَرُوا، وكُونوا عِبادَ الله إخوَانًا))**[٢٣٢].

[المتن]

قال –رحمه الله - :

اجتناب الفواحش

وَإيَّاكُما والفَوَاحشَ؛ فَإنَّ اللهَ تعالَى حَرَّمَ مَا ظَهرَ منهَا ومَا بطَنَ، والإثمَ والبَغيَ بِغيْرِ الحقِّ.

[الشرح]

الفواحش: جمع فاحشة، وهو كلُّ ما عظُم من الذُّنوب، وإنَّ كان يكثر إطلاقه على فاحشة الزِّنى، وفاحشة اللَّواط؛ ولكنَّه يشمل كلّ ما عظُم من الذُّنوب، وهو من الكبائر،

---

[٢٢٩] رواه ابن ماجه، وصححه الألباني برقم: ٤٢١٨.

[٢٣٠] [الفلق: ٥].

[٢٣١] [النساء: ٥٤].

[٢٣٢] رواه مسلم (٤/١٩٨٦ ، رقم ٢٥٦٤).

ولذلك وصف المؤمنين بقوله: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ**﴾[٢٣٣]، فعلينا أن نحذر من الفواحش، ما ظهر منها وما بطن؛ وهو كلُّ ما فحُش وعظُم من الذُّنوب حتَّى الباطل من القول يعدُّ فواحش، وإن كان إطلاق الخاصِّ على فاحشتي الزِّنى واللِّواط -والعياذ بالله-. فعلى المسلم أن يحذر من الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

[المتن]

قال -رحمه الله-:

تحريم الغيبة

وإيَّاكُما والغَيبةَ، فَإِنَّها تُحبِطُ الحَسنَاتِ، وتُكثِر السيِّئاتِ، وتُبعِدُ مِنَ الخَالقِ، وتُبَغِّضُ إلَى المخلُوقِ.

[الشرح]

الغيبة: ذكرك أخاك بما يكره، وهي ممقوتة عند الله وعند النَّاس، قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾[٢٣٤]، ويقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: **((الغِيبةُ ذِكرُكَ أخَاكَ بِمَا يَكرهُ، قال: أرَأيتَ إن كَانَ ما قُلتُهُ صَحِيحًا، قال: إن كَانَ مَا قُلتَهُ صحَيحًا فقدِ اغتَبتَهُ، وإن كَان مَا قُلتَه كذِبًا فقَد بَهتَّه))** أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فأمسك لسانك -يا عبد الله!-، أمسكه من الغيبة والنَّميمة، والفاحش من القول، وصُنْهُ بذكر الله -تبارك وتعالى-.

ويستثنى من الغيبة أمور، لا تعتبر داخلةً في الغيبة:

---

[٢٣٣] [النجم: ٣٢].

[٢٣٤] [الحجرات: ١٢].

أوَّلاً: إذا كان المقصود إصلاح ذات البين، فلو جئت لشخص وقلت له: إنَّ أخاك يحبُّك ويريد لك الخير بينما هو يكرهه؛ فهذا ليس من الغيبة.

ومما يُستثنى: لو سُئِلتَ عن مصاهرة أحد أو السَّفر معه؛ فلا بأس أن تذكر بعض ما فيه تحذيرًا منه، إن كان ممَّا يحذَّر منه.

ومن ذلك أيضًا: وصف المبتدعة وفضحهم، ونشر بدعهم؛ لتتبيَّن للنَّاس فيحذروا منها، والتَّحذير من تلك البدع، ولاسيَّمَا من يدعو إلى بدعته، أمَّا من كانت بدعته خامدة فلا تنشرها؛ لئلا لتسهم في نشرها وأنت لا تدري.

وكذلك مِمَّا يُستثنى: لو استشارك أحدٌ في زواج ابنته من زيدٍ من النَّاس، وأنت تعرف أنَّه ليس كفئًا؛ فلابدَّ أن تبيِّن ذلك، ويجب أن تكون نيِّتك هي الخير وهو الحذر من الإضرار بذلك الرَّجل.

وكذلك **مِمَّا يستثنى من الغيبة:** وصف الكذَّابين والوضَّاعين في الحديث وبيان حالهم، وإن كانوا من بعض النِّحل والفرق الضَّالة فلابدَّ أن يُبيَّن حالهم؛ حتَّى يسلم المسلمون من شرِّه.

هذا بعض ما يستثنى ومن أراد التوسَّع؛ فليرجع إلى (رياض الصَّالحين)، فهناك ستَّة أحوال ذكرها الإمام النَّووي –رحمه الله تعالى- فيما يُستثنى من الغيبة، أو ما يُظنُّ أنَّه غيبة وليس بغيبة.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

تحريم الكِبْر

وإيَّاكُما والكِبْرَ، فَإنَّ صَاحِبَه في مَقتِ اللهِ مُتقلِّبٌ، وإلَى سَخَطِهِ مُنْقَلِبٌ.

[الشرح]

الكبر: هو استحقار النَّاس وغمطهم؛ فالكِبر هو غمط الحق، والتَّعالي على النّاس والتَّعاظم، وقال الله تعالى: ﴿**فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾[٢٣٥]، وقال تبارك وتعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** ﴾[٢٣٦]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[٢٣٧]، وقد ثبت في الحديث أنَّه لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقالُ ذرَّة من كِبْر، وثبت أنَّ المتكبِّرين يجعلون ذَرًّا يطؤهم النَّاس تحت أقدامهم، فإيَّاك والكبر -يا عبد الله!-، إيَّاك والكبر، فإنَّه في غاية من الخطورة.

والكِبْر يجعل صاحبه يُعرض عن الحق ولا يفقهه ولا يريد أن يسمعه -والعياذ بالله-، أخذته العزَّة بالإثم.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

النهي عن البخل

وإيَّاكُما والبُخلَ، فَإنَّه لَا دَاءَ أَدواُ مِنه، لاَ تَسلَمُ عَليهِ دِيَانةٌ، وَلاَ تَتِمُّ مَعهُ سِيادَةٌ.

[الشرح]

البخل: هو قبض اليد عن الإنفاق، وقد وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾[٢٣٨]، ويقول تعالى: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**

[٢٣٥] [النحل: ٢٩].
[٢٣٦] [الفرقان: ٦٣].
[٢٣٧] [لقمان:١٨].
[٢٣٨] [الفرقان: ٦٧].

وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[٢٣٩]، فاحذر من البخل -يا عبد الله!-؛ لأنَّه من أذمِّ الصِّفات، ولا يصلح به دينٌ ولا دنيا، والبخيل كلُّ ما في الأمر أنَّه يجمع لغيره وهو محروم هو وأولاده من ذلك المال الذي يجمعه لغيره. فاحذر -يا عبد الله!- من البخلِ فإنَّه من الصِّفات الذَّميمة الخطيرة، وعليك أن تكون كريمًا بنفسك، كريمًا بما أحلَّ الله لك، تنفق منه وتجتهد في الإنفاق، كما سيأتي بيان الإنفاق بعد قليل.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

مراقبة الله في السِّرِّ والعَلَنِ

وإيَّاكمَا ومَوَاقِفَ الِخزيِ، وكُلُّ مَا كَرِهتُما أَنْ يظْهَرَ عَلَيكُما فَاجتَنِباه، ومَا عَلمتُمَا أَنَّ النَّاسَ يَعيبُونَه في المَلاَ، فَلا تَأتِيَانِه في الخَلاَ.

[الشرح]

مراقبة الله -تبارك وتعالى- في السرِّ والعلن هي عين الإحسان **((أنْ تَعبُدَ اللهَ كأنَّكَ تَراه، فإن لَم تَكُن تَراهُ فإنَّه يَراك))**، أن يتذكَّر المؤمن دائمًا أنَّ الله لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السَّماء، فلا يراك الله حيث نهاك ولا يفتقدك حيث أمرك، هذه حقيقة مراقبة الله -سبحانه وتعالى-؛ بأن تتذكَّر أنَّ لك ربًّا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصُّدور، ولذلك المؤمن إذا أغواه الشَّيطان أو استزلَّه في أمر من الأمور؛ يتذكَّر **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾**[٢٤٠].

---

[٢٣٩] [الإسراء: ٢٦-٢٧].

[٢٤٠] [الأعراف:٢٠١].

[المتن]

قال –رحمه الله-:

العدل في الحكم

فَإنْ بَلَغ أَحَدُكما أَنْ يَسترعِيَه اللهُ أُمَّةً بِحكْمٍ أَو فَتوى، فَليَتَمثَّلِ العَدلَ جَهدَه، ويَجتَنبَ الجَورَ وغَدْرَه؛ فَإنَّ الجَائرَ مُضَادٌّ للهِ فِي حُكمِهِ، كَاذِبٌ عَلَيهِ فِي خَبَرِه، مُغيِّرٌ بِشريعَتِه، مخَالِفٌ لَه فِي خَلِيقَتِه. قال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[241]

وقد رُوِيَ أنَّ الخلقَ كُلَّهم عِيالُ الله، وأنَّ أحبَّ الخلقِ إلى الله أَحوَطُهم لعيالِهِ

ورُوِيَ: "ما امرُؤٌ استُرعِيَ رعيةً فلم يُحِطْها بنصيحةٍ، إلا حرَّمَ الله تعالى عَلَيْهِ الْجَنَّةَ".

[الشرح]

يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[242]، فعليك -يا عبد الله!- أن تحذر من هذه الأمور التي تخالف الشرع من التقصير فيما ولاَّك الله عليه، وما من راع يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فعليك أن تقوم -يا عبد الله!- سواء كنت أميرًا، أو مدير عمل بمدرسة أو مؤسسة أو جامعة، أو أي عمل من الأعمال قد وُلِّيت عليه؛ فعليك أن تعدل بين رعيتك، وعليك أن ترعى حق الله فيها ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ**﴾.[243]

---

[241] [المائدة: ٤٧].

[242] [التحريم: ٦].

[243] [النساء:٥٨].

[المتن]

قال –رحمه الله-:

التحذير من شهادة الزور

وإيَّاكُما وَشَهَادَةَ الزُّورِ؛ فَإنَّها تَقطَعُ ظَهرَ صَاحِبِها، وتُفسِدُ دِينَ مُتقَلِّدِها، وتُخلدُ قُبحَ ذِكرِه، وَأوَّلُ مَنْ يَمقتُهُ ويَنمُّ عَلَيهِ المشهُودُ لَهُ.

[الشرح]

شهادة الزور تشمل جميع الأقوال الباطلة؛ سواءٌ شهد على لشخص من أجل تغيير الحق لصالحه أم قال قولاً باطلاً أيًّا كان؛ يقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**﴾[٢٤٤]، ويقول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: **((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكبَرِ الكَبَائِرِ، قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قال الإِشرَاكُ بالله، وعُقُوقُ الوَالِدَينِ، وكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَس وقَالَ:أَلاَ وَقولُ الزُّورِ ألاَ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقولُ الزُّورِ ألاَ وَشَهَادَةُ الزُّورِ))**[٢٤٥]، فما زال النَّبي صلى الله عليه وسلم يردِّدها حتى قالوا: ليته سكت.

ومن شهادة الزور: أن تتكلَّم بالباطل أو تتشدَّق بالباطل، أو أن تجهد لتغيير الحقائق بأي شكل من أشكال الجهد، وأول ما يجني شاهد الزور على نفسه؛ فإنه يكون محتقرًا حتى عند من يشهد له في المستقبل؛ لأنه يعرف أنه صاحب مصلحة، فالذي شهد له قد يأتي يوم يشهد فيه عليه؛ ولذلك يحتقره وينظر إليه نظرة احتقار وازدراء، فلنحذر من شهادة الزور ومن قول الزور.

ومن قول الزور: الدعوة على غير المنهج الحق، على غير منهج دعوة الأنبياء والمرسلين، فلنحذر -عباد الله- من الزُّورِ بكل ما يتضمنه من معنى من كذب ومن غيبة ونميمة أو شهادة

---

[٢٤٤] [الفرقان: ٧٢].

[٢٤٥] رواه البخاري ٣/٢٢٥ (٢٦٥٤)، ومسلم ١/٦٤ (٨٧) (١٤٣).

زور أو نحو ذلك، فإن ذلك يفسد القلوب ويفسد الألسن، ويغير الحقائق ويقلب الحق إلى باطل، والباطل إلى حق. وحكم الحاكم لا يُحِلُّ حرامًا ، فهب أن زيدًا من الناس شهد لعمرو على قضية كذا وكذا ففاز بها وإلا فهي لغيره، فإن ذلك لا يغير حقيقة ذلك عند الله؛ لأن الحق واحد يصيبه من يصيبه ويخطئه من يخطئه.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

تحريم الرِّشوة

وإيَّاكُما والرِّشوَةَ، فإنَّها تُعمِي عَينَ البَصِيرِ، وتحُطُّ قَدرَ الرَّفِيعِ.

[الشرح]

الرِّشوة: ما يدفع إلى بعض المسئولين والموظفين والقضاة ونحو ذلك؛ من أجل تغيير الحق أو تقديم زيد على عمرو وسواء دفعته لنقلك من مكان إلى مكان، أو دفعته لتغيير الحقيقة، أو دفعته للانتفاع به؛ فكلُّ ذلك محرم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَ، وَالْمُرْتَشِيَ، وَالرَّائِشَ))**[٢٤٦]؛ فالرَّاشي: دافع الرشوة، والمرتشي: آخذها، والرائش: الواسطة بينهما، كلهم ملعونون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم. فانتبه -يا عبد الله!- فإن الرشوة خطيرة.

ومن الرشوة: أن يأتي طالب لمدرس بهدية وهو يقصد أن ينجِّحه أو يرفع من درجاته. فعلينا أن نحذَرَ منها ومن كل أشكالها وألوانها، علينا أن نحذر منها بكافة أشكالها، أو حتى التحيُّل عليها، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما أتاه أحد عمَّاله بما حصل من زكاة، وكان قد

[٢٤٦] أخرجه الحاكم (٤/١٠٣) وأحمد (٥/٢٧٩)، وقال الألباني: منكر، أما الحديث بدون هذه الزيادة فصحيح، وله طرق ذكرها في " إرواء الغليل " " كتاب القضاء " رقم الحديث (٢٦٢٠)، ا.هـ السلسلة الصحيحة: (٣/ ٣٨١) حديث رقم: ١٢٣٥.

حصَّل هدية خارج الزكاة قال: ((هَذا لَكُم وهَذَا أُهدِيَ إلَي))؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **((هلاَّ قَعَدَ فِي بَيتِهِ حتَّى يُهدَى إلَيهِ))**[247] هلاَّ قعد في بيته لينظر أيُهدَى إليه أم لا؟! فالهدية مستحبة ولكن التحيَّل على بعض الرُّشى باسم الهدايا هذا أمر في غاية الخطورة، **﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾**[248]، فانتبه -يا عبد الله!- واحذر منها، ومهما كان الأمر فابتعد عنها والله -سبحانه وتعالى- سوف يعينك إذا كان حقك مُضاعًا.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

الغناء ينبت الفتنة في القلب

وإيَّاكُما وَالأَغَانِي، فَإنَّ الغنَاءَ يُنبِتُ الفِتنَةَ في القَلبِ، ويُولِدُ خَواطِرَ السُّوءِ فِي النَّفسِ.

[الشرح]

الغناء: هو الطرب كان بصوت رجل أو امرأة وسواء صحبته معازف أم لم تصحبه، إذا كان غناء مكشوفًا فيه غزل مكشوف فهو محرم، وفسَّر عامة أهل العلم قول الله -جلَّ وعلا-: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾**[249] فسَّر ذلك بأنهم أهل الغناء، فلنحذر من ذلك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((يَأتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَومٌ يَستَحِلُّونَ الحِرَ والحَرِيرَ والخَمرَ والمَعازِف))**[250].

وإيَّاكم والفتاوى الضالة التي تسمعونها عبر بعض القنوات من بعض المرضى الذين أحلُّوا الربا، وأحلُّوا الاختلاط ، وأحلُّوا الرُّشى، وأحلُّوا التشبه بالنساء، وأحلُّوا التمثيليات، وأحلُّوا

[247] رواه مسلم: ٣٤١٣.
[248] [البقرة: ١٨٨].
[249] [لقمان: ٦].
[250] أخرجه البخاري (٥/٢١٢٣ ، رقم ٥٢٦٨).

الأغاني، وورَّثوا الكفار من المسلمين والعكس، وغير ذلك مما تبناه هؤلاء المرضى، فاحذروا منهم ومن كل ما يدْعُون إليه من الفتاوى الضالَّة.

والغناء يفسد القلوب؛ لأنه مقدمة الزنى، ومقدمة مقالات السوء. فعلينا أن نحذَرَ من ذلك، فضلاً عما فيه من إفساد القلب؛ فإنه أيضًا مضيع للأوقات ومُبعِدٌ عن ذكر الله -تبارك وتعالى-، ولذلك أظنُّ أنَّه لا يجتمع الغناء والقرآن في جوف مؤمن.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

الشطرنج والنرد ملهاة للوقت

وإيَّاكُما والشَّطرَنجَ والنَّردَ، فإنَّهُ شغُلُ البطَّالِين، ومُحَاولةُ المُترفِينَ، يُفسدُ العُمرَ، ويَشغَلُ عَن الفَرضِ، ويَجبُ أَن يَكُونَ عُمركُما أَعزَّ عَليكُمَا وأفضَلَ عندَكُما مِن أَنْ تَقطَعَاهُ بمثلِ هَذِه السَّخَافَاتِ التِي لاَ تُجدِي، وتُفسِدَاه بِهذِه الحَمَاقَاتِ التِي تَضرُّ وتُردِي.

[الشرح]

هذه الأشياء وهذه السفاسف؛ من الشطرنج والنردشير، والكيرم والورقة التي هي الباصرة وغير الباصرة، وما إلى ذلك مما أحدثه الناس الآن، وقد يتلاعنون ويتسابون ويتشاتمون بسبب اللعب بهذه الأشياء، وإذا كانت على عِوَضْ فهي محرمةٌ من وجهين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((مَن لَعِبَ بالنَّردَشِير فَكأنَّمَا صَبَغَ يَدهُ بِدَمِ خِنزِير))**[٢٥١]، فاحذروا من هذه الملهيات والمشغلات وتعلَّقوا بالله -جل وعلا-؛ لأنها لا تجتمع مع ذكر الله -تبارك وتعالى- ومع طاعته. الكثير من الناس فتن بها، فاحذر -يا عبد الله!- من هذه الفتن، وتقرب إلى إخوانك طلبة العلم الذين ينفعونك في أمر دينك ودنياك.

[٢٥١] روا مسلم: ٤١٩٤.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

النهي عن الكهانة والتنجيم

وإيَّاكُمَا والقَضَاءَ بالنُّجُومِ والتَّكَهُّنَ؛ فإنَّ ذَلكَ لِمَن صَدَّقه مُخرِجٌ عَنِ الدِّينِ، ومُدخلٌ لَه فِي جُملةِ المَارِقِينَ.

وأمَّا تَعدِيلُ الكَواكِبِ، وتَبيِينُ أَشخَاصِهَا، ومَعرِفةُ أَوقَاتِ طُلوعِهَا وغُرُوبِها، وتَعيِينُ مَنَازِلِها وبُروجِها، وأوقَاتِ نُزولِ الشَّمسِ والقَمرِ بِها، وتَرتِيبُ دَرجَاتِها؛ للاهتِدَاءِ بِه، وتَعرُّفِ السَّاعَاتِ وأوقَاتِ الصَّلَواتِ بالظِّلاَلِ وبِهَا؛ فَإنَّه حَسنٌ، مُدْرَكٌ ذَلكَ كُلُّه بطَرِيقِ الحسَابِ مَفهُوم. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[٢٥٢]. وقال عَزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٢٥٣].

[الشرح]

الكِهانة: هي ادعاء علم الغيب، وقد يستخدم الكُهَّان بعض مسترقي السمع من الشياطين، وقد يَصْدِقُون في أمر سمعوه من أولئك المسترقين فيكذبون معه مئة كذبة، كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

وهم لا يبلغون ما كانوا يبلغونه معه في الجاهلية، وإن كان مازال لهم شيء من ذلك؛ لكنهم لا يبلغون مثل ما كانوا يبلغون في وقت الجاهلية، وقد قال رسول الله صلى الله عليه

[٢٥٢] [الأنعام: ٩٧].

[٢٥٣] [يونس: ٥].

وسلم: **((مَنْ أتَى كَاهِنًا أَو عرَّافًا فسأَلَهُ عَن شَيء؛ لَم تُقبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَربَعِينَ يَومًا))**[٢٥٤]، ومن سأله عن شيء فصدقه قال: **((مَن أتَى كَاهنًا أَو عرَّافًا فَصدَّقَهُ بِمَا يَقُول؛ فَقَد كَفَر بِمَا أُنزلَ على مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم))**[٢٥٥].

والكهانة من أنواع ادعاء علم الغيب من كثير من الناس الذين ضَعُفَ إيمانهم؛ بل وبطل أحيانًا إذا تولوهم من دون الله -تبارك وتعالى-، فمدَّعي علم الغيب من أعظم الطواغيت الذين حذَّر منهم أهل العلم قديمًا وحديثًا، فعلينا أن نحذر من كلِّ ذلك.

وكذلك الذهاب إلى السحرة؛ فإنَّه محرم حتى ولو كان بقصد العلاج؛ لأن الساحر هو الساحر وهو ملعونٌ متوعدٌ بالعذاب الأليم يوم القيامة. علينا أن نحذَرَ من السِّحر والسَّحرة، مهما كان المبرَّر؛ فالغاية لا تبرر الوسيلة، وإن الله ما جعل شفاء الأمة فيما حرم عليها.

وإنَّ الله إذا حرَّم شيئًا حرَّم ثمنه؛ فالسحر وتعاطيه، حتى ولو قصد صاحبه إخراج السحر بزعمه عن المسحورين؛ فإن تعلمه هذا باطل ذلك أن السحرة لا يفعلون شيئًا حتى يكفروا بالله -تبارك وتعالى-، قال الله -جلَّ وعلا-: **﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَّاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾**[٢٥٦]. فاحذر -يا عبد الله!- من إتيان الكهنة والسحرة تحت أية ذريعة من الذرائع التي يتذرع بها البعض، وأنت لست معذورًا في الذهاب إليهم، تداوى ولكن لا تقرب الكهنة ولا السحرة والدجالين ولا أصحاب الشعوذة.

---

[٢٥٤] رواه مسلم: ٤١٣٧.

[٢٥٥] رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: ٥٩٣٩.

[٢٥٦] [البقرة: ١٠٢].

ننتقل بعد هذا إلى علم التنجيم؛ هو على قسمين: علم تسيير وعلم تأثير.

فعلم التسيير: هو الاهتداء والاستدلال بالنجوم على القبلة، وعلى الصلاة، وعلى أوقات الزراعة، وعلى أوقات الزرع، وعلى أوقات الحصاد، وعلى أوقات المطر -بإذن الله تبارك وتعالى-، فهذا علم التسيير؛ وهو علم الفلك فتعلمه لا بأس به -إن شاء الله-، تعلُّمُ علم التسيير لا بأس به ﴿**وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾[٢٥٧].

قال بعض السلف: "خَلَق اللهُ النُّجومَ لِثلاث: زِينَةً لِلسَّماء، ورُجومًا للشَّياطِين، وعَلاَماتٍ يُهتَدَى بِهَا"، ولغير ذلك لا يجوز. وهو العلم الثاني؛ وهو:

علم التأثير: وهو الاستدلال بالكواكب العلوية على الحوادث الأرضية، وادعاء أن تلك النجوم منها ما هو نجوم نحس، ومنها ما هو نجم سعد، فيتشاءمون ببعضها ويتبركون ببعضها، وهذا ورثوه عن الصابئة عباد الكواكب الذين بعث الله فيهم نبيه الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لذلك عليك أن تُعنى بهذا الأمر، وأن تعرف علم التسيير من علم التأثير حتى تحدِّد المطلوب.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

القسم الثاني من الوصية

وأمَّا القِسمُ الثَّاني مِمَّا يجبُ أَن تَكُونَا عَليهِ، وتَمسَّكَا بهِ:

إكرام الأخ لأخيه

---

[٢٥٧] [النحل: ١٦].

فَأنْ يَلتزِمَ كُلُّ واحِدٍ مِنكُمَا لأَخِيهِ الإخلاَصَ وَالإكرَامَ والمرَاعاةَ فِي السِّرِّ والعَلاَنيةِ، والمرَاقَبةَ فِي المَغِيبِ والمشَاهَدةِ.

[الشرح]

بعد أن حثَّ على الفضائل وحذَّرَ من الرذائل فيما يتعلق بأمر الدين؛ أخذ يوجِّهُهما في العلاقة بينهما وبين غيرهما أو فيما بينهما الاثنين، من غرس وشائِج المحبَّة والأخوة الصادقة والجد والاجتهاد في تقوية ذلك، وأنَّ رابطة الإسلام هي أعظم رابطة وأعظم أخوَّة وأعظم ما يُلتزم به، ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾[٢٥٨]، فيوصيهما بأن يرفق بعضهما ببعض، وأن يحترم بعضهما بعضًا، وأن يجتهدا في طاعة الله -تبارك وتعالىٰ-؛ حتى تسود بينهما الألفة والمحبة؛ ولاسيما الأقارب فيما بينهم فقد أولاهم الإسلام عناية عظيمة، أولاهم عناية وأمر أن يجعلوا حتى وصاياهم في الأقربين.

فهٰذا أبو طلحة - رضي الله عنه- عندما نزل قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[٢٥٩] لَقِيَ النبي صلى الله عليه وسلم وكانت له مزرعة اسمها: (بَيرَحاء) أو (بَيرُحَاء)، وليس هناك شيء اسمه (بئر حاء) كما يدعي المخرفون والدجالون، ليس هناك مزَّارٌ في المدينة اسمه (بئر حاء)، كما يدعيه الدجالون والمزورون وأكلة أموال الناس بالباطل؛ إنما هي: (بَيْرُحَاء) وكانت خلف مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الجهة الشمالية، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب من مائها ويستعذبه، وكانت أنفس مال عند أبي طلحة

-رضي الله عنه-؛ فلما نزلت الآية قال: يا رسول الله! إنَّه قد أُنزل عليك الليلة هذه الآية: ﴿**لَنْ تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ وإن أغلى أموالي وأنفسها عندي هي هذه الحديقة بَيرُحَاء، وإني قد وهبتها في الخير فلتفعل فيها يا رسول الله! ما شئت، قد تصدقت بها لله -عزَّ

[٢٥٨] [الحجرات: ١٠].

[٢٥٩] [البقرة: ٩٢].

وجل- فاصرفها يا رسول الله! حيث شئت؛ فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يصرفها في الأقربين من أقاربه؛ فجعل الله فيها بركة وخيرًا كثيرًا؛ ولذلك تصدَّق بها كاملة وهي أعظم أمواله، فعلى المسلم أن يتصدق بما يحب أن يعطى مثله، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[٢٦٠]، فاجتهدوا في اختيار الشيء الطيب، تنفقون مما تحبون أن يعطى لكم؛ حتى تتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده. ([٢٦١])

[المتن]

قال –رحمه الله-:

عطف الكبير على الصغير

وليَلْزَمْ أَكبَرُكما لأَخِيهِ الإشفَاقَ عَلَيهِ والمسَارَعة إِلَى كُلِّ مَا يُحبُّه، والمعَاضَدَةَ فيمَا يُؤثِرُه، والمسَامَحةَ لكُلِّ مَا يَرغَبُه.

[الشرح]

على المسلمين، كما أوصى الشيخ -رحمه الله- ابنيه بالتعاطف والتراحم والتواد، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**مَثَلُ المُسلِمِينَ فِي توادِّهِم وتراحُمِهم وَتعَاطُفِهِم كَمَثَلِ الجَسَدِ الوَاحِدِ إذَا اشتَكَى تَداعَى لَه سَائِرُ أعضَاءِ الجَسَدِ بالسَّهرِ والحُمَّى**))[٢٦٢] فما بالك بالأقارب، وما بالك بالأخ مع أخيه، فليوقِّر صغيرنا كبيرنا، وليرحم كبيرنا صغيرنا، كما

---

[٢٦٠] [البقرة: ٢٦٧].

[٢٦١] قال الشيخ: إخواني الأسئلة نؤجلها إلى الغد وسنترك لها فترة كافية إن شاء الله.

[٢٦٢] مسلم (٤/١٩٩٩ ، رقم ٢٥٨٦).

أوصانا بذلك رسول الهدى صلى الله عليه وسلم: **((لَيسَ مِنَّا مَن لَم يُوقِّر كَبِيرَنَا ويَرحَمْ صَغِيرَنَا))**[٢٦٣].

[المتن]

قال –رحمه الله-:

توقير الصغير للكبير

ويَلتَزِمُ أَصغَرُكُما لأَخِيهِ تَقدِيمَه عَلَيهِ، وتَعظِيمَه فِي كُلِّ أَمرٍ بِالرُّجوعِ إلَى مَذهَبِه، والاتِّباعَ لَه فِي سِرِّه وجَهرِه، وتَصوِيبَ قَولِه وفِعلِه.

[الشرح]

يجتهد كل من الإخوة -والمسلمين عامة- في أن يوقر الصغير الكبير، وأن يرحم الكبير الصغير، وأن يحترم قوله، وحتى إن أخطأ يبين له خطأه برفق وبلين وبالطريقة التي تحببه إليه؛ دون تنازل عن بيان الخطأ؛ لكن مع ذلك فإنه يسلك في ذلك الطريق أو الأسلوب الأمثل الذي يجعله يحبه ويحترمه، فلابدَّ من الاحترام المتبادل بين الأقارب وبين جميع المسلمين، تحقيقًا للأخوة الإسلامية والأخوة الإيمانية، وتحقيقًا للمحبة التي جعلها الله -تبارك وتعالى- بين المسلمين، فيقول له: إنك أنت وأخوك تربطكما قرابتان: قرابة النسب وقرابة الدين؛ فلتقوما بحق تلك القرابة إلى أن تلقياني يوم القيامة.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

[٢٦٣] رواه الترمذي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ٢١٩٦.

المناصحة بالحسنى

وَإنْ أَنكَرَ مِنهُ فِي المَلأ أَمرًا يُريدُهُ، أَو ظَهَر إليهِ خَطأٌ فيمَا يَقصِدُه؛ فَلاَ يُظهِر إنكَارَه عَلَيهِ، ولاَ يَجهرُ فِي المَلأ بتخطِئتِه، ولِيبيِّنْ له ذَلكَ عَلَى انفِرادٍ منهُمَا، ورِفقٍ مِنْ قَولِهمَا؛ فَإنْ رجعَ إلَى الحَقِّ، وإلاَّ فليَتْبَعْه عَلَى رَأيه، فَإنَّ الذِي يدخُلُ عَليكُما مِنَ الفسَادِ باختِلافِكُما أَعظَمُ مِمَّا يُحذَرُ مِنَ الخَطأِ مَع اتِّفَاقِكُما، مَا لَم يَكُن الخَطأُ فِي أمرِ الدِّين، فَإنْ كَانَ فِي أمرِ الدِّين، فَلْيَتبعِ الحَقَّ حَيثُ كَان، ولْيُثابِرْ عَلَى نُصحِ أَخيه وتَسدِيدِه مَا استطَاعَ، ولاَ يُخْلِ يَدَه عَن تَعظِيمِه وتوقيرِه.

[الشرح]

النصيحة الأصل فيها أن تكون غير معلنة مع الصغير والكبير في بداية الأمر، وسواءٌ مع أفراد أو مع مجتمع أو مع ذي سلطان أو مع صغير أو مع كبير، ومن أراد التوسع في هذا فليرجع إلى (الفرق بين النصيحة والتعيير) للحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالى-، وقد شرحته قبل نحو سنتين أظن في المسجد النبوي.

وعلى كل منكما أو من الجميع أن يتناصحوا فيما بينهم وأن لا تتحول تلك النصيحة إلى فضيحة، وألاَّ تكون معلنة؛ بل تجعلها بينك وبينه، فإن كان الأمر يتعلق بأمور الدنيا وأنت ترى أن الصواب معك فاجتهد في نصحه، وإلا فاتبعه إنْ كان أكبر منك، فلعل رأيه أصوب من رأيك، أو من باب الاحترام وتؤجر وتثاب على ذلك -إن شاء الله-؛ اللهم إن كان الأمر يتعلق بالدين فإن الخطأ في الدين لا يُتابع عليه أحد، إذ أنَّ الحق واحد لا يتعدد يصيبه من يصيبه ويخطئه من يخطئه، والحق أحق بالاتباع ولو خالفه الناس، فإن كان في المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد فليس لك أن تلزمه برأيك ولا أن يلزمك برأيه، وإن كان من المسائل التي لا يسوغ فيها الاجتهاد؛ فإنه لا يجوز الاختلاف عليها البتة، وإيَّاك أن تساومَ على ذلك أو أن تتنازل عن دينك؛ لكن عليك بالأسلوب الأمثل فإن الرفق ما يكون في شيء إلا زانه، وما يكون العنف في شيء إلا شانه.

الخطأ في الدين لا يتابع عليه أحد، فمتى ظهر لك الحق فاتبعه ولا تتبع أحدا كائنا من كان، فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقبل أن ننتقل أودُّ أن أنبِّه طلبة العلم خاصة إلى أمرٍ مهم عند النصيحة؛ **أحذِّر نفسي وإياكم من أمور:**

- أحذِّر من الإلزامات؛ فإن كثيرًا من الإلزامات تجعل الشخص يتخيل الخطأ في غير موضع الخطأ.
- وإيَّاك وبتر كلام أخيك؛ فإنَّ ذلك يُحدث شرخًا لا تُحمد عُقْبَاه.
- وإيَّاك أن تتسرع في الأحكام على الآخرين.
- وإيَّاك وقبول الشائعات، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾[264]، ويقول جل وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُم فِي الأَرْضِ فَتَبَيَّنُوا وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنيَا**﴾[265].
- وارجع إلى العلماء الكبار فيما يُشكل عليك.
- وإيَّاك أن تكون ممن يتزبّب قبل أن يتحصرم.
- وإيَّاك أن وأصحاب الإلزامات والاستعلاء والتَّعالم، وقلة الحياء مع العلماء ومع طلبة العلم؛ فإن ذلك من أدواء هذا العصر، فقد تصدى الكثير إلى مسائل لا يحسنونها، وقد اقتحم البعض أبوابًا لا يحسنون فتحها ولا التعامل معها؛ فنتج عن ذلك خلاف وهرَج واختلاف، وتوسع دائرة، وبغضٌ وحسدٌ، وتفرقٌ وضياع؛ لاسيما إذا أسند الأمر إلى غير أهله فإنه من علامات الساعة.

---

[264] [الحجرات: ٦].

[265] [المائدة: ٩٤].

فاحذر -يا عبد الله!- من هذا المسلك، احذر من هذا المسلك، وارجع إلى العلماء الكبار فيما أشكل عليك.

● وإيَّاك أن تحمل قول أخيك على خلاف مراده، أو على هواك؛ البعض يتعسف في فهم الأقوال بحيث يلوي أعناق النصوص والأقوال على ما يريد، ففيه شبه من اليهود أحيانًا؛ لما قال لهم الله: حِطة؛ قالوا: حنطة، فاحذر -يا عبد الله!- من هذا المسلك، بلِّغ ما عرفت بيقين وما أتقنته تمامًا، أما ما كان عندك فيه شك أو لم تتقنه؛ فأدِّي الحق إلى نصابه، وأعطِّ الليث منيع غابِهْ.

● وإيَّاك والتزبُّب المبكر، وإيَّاك والتسرع في الأحكام على الآخرين، وإيَّاك أن تتسرع بمجرد أن تجد خطأ على أخيك. البعض من الناس يتسرعون في الحكم على إخوانهم وهم أصحاب منهج واحد فيُلزمون بما لا يلزم، ويضعون النصوص في غير موضعها، ويستدلون بالنصوص على غير ما تدل عليه، ويحمِّلُون أقوال إخوانهم ما لا تحتمل، وعنده من التعالم والاستعلاء والغلظة في القول وما إلى ذلك ما لا يمكن تصوره، فإياكم وهذا المسلك ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[٢٦٦].

● وأحذِّرُكُم من ليِّ أعناق أقوال العلماء، وحملها عما لم يريدون الحمل عليه. يأتي أحدهم إلى عالم فاضل وشيخ جليل، ثم يطرح مسألة علمية في ظاهرها ويقولون: "يا شيخ! ما رأيك فيمن يقول كذا وكذا؟" والشيخ -وفقه الله- يجيب إجابة مُسدَّدة وجميلة وقوية وفي مكانها، ثم يأتي عبر بعض المواقع، عبر بعض زُبالات الإنترنت، فيضع عنوانًا لهذا الجواب -ظلمًا وعدوانًا-: (سماحة الشيخ فلان يرد على فلان)، وقد يكون من يُزعَم أنه يُرد عليه عالمًا من العلماء، أو طالب علم يسير على منهج العلماء؛ فهذا في غاية الخطورة أيضًا، وهذا تحريف للكَلِمِ عن مواضعه، والمواقع تمتلئ بمثل هذا الغثاء الكثير فاحذروا منه، احذروا منه كل الحذر، احذروا منه كل الحذر، كل المواقع التي تسلك هذا المسلك قاطعوها، وابتعدوا عنها، كل

---

[٢٦٦] [يوسف: ١٢٥].

المواقع التي لا همَّ لها إلا النشر للصغار؛ صغار العقول والخفافيش الذين شوَّهوا سمعة طلبة العلم وهم يُغِيرون مع هذا وهذا، على نحو المثل القائل -وهو مثل بدوي-: (فلان يعدو مع الذئب ويصيح مع الراعي)، كثيرٌ من الناس يسلكون هذا المسلك، وتجده متقلبًا لا قرار له، اليوم مع فلان وغدًا مع فلان.

- وإيَّاكم أن تعلِّقوا الأحكام أو أن تكون دعوتكم متعلقة بالذوات؛ فإنَّ هذا لون من ألوان الحزبية المقيتة، التي نحذر منها وقد نقع فيها من حيث لا ندري.
- احذروا من ذلك، واسلكوا مسلك السلف الصالح، سيروا على نهج مشايخنا في الدعوة إلى الله -جلَّ وعلا-؛ من أمثال: الشيخ شيخنا: ابن باز، وشيخنا: العثيمين، وشيخنا: الأمين، وشيخنا: الألباني -يرحمهم الله-، وشيخنا الشيخ: حماد ، وشيخنا الشيخ: عمر بن محمد فلاَّتة، وشيخنا الشيخ: محمد أمان، وغيرهم ممن انتقل إلى ربه نسأل الله أن يرحمه.

وكذلك مشايخنا المعاصرون؛ سماحة شيخنا المفتي الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، وسماحة شيخنا الشيخ: صالح الفوزان، وسماحة شيخنا الشيخ: صالح اللُّحيدان، وسماحة شيخنا الشيخ: عبد الله الغديان، ومعالي الشيخ: صالح بن عبد الله آل الشيخ، وفضيلة شيخنا الشيخ: عبد المحسن العباد البدر، وفضيلة شيخنا الشيخ: علي بن ناصر فقيهي، وفضيلة شيخنا الشيخ: ربيع بن هادي المدخلي، وفضيلة شيخنا الشيخ: زيد بن هادي المدخلي، وفضيلة شيخنا الشيخ: النجمي -يرحمه الله-، وغيرهم ممن لم أذكر على سبيل الاختصار، وبحسب ما سمح به الوقت.

أما نحن الصغار أو بعضنا؛ فإيَّاكم أن تجعلوهم هُم المرجع فيما تصْدُرُونَ عنه؛ إلاَّ مَن سلك مسلك هؤلاء العلماء الذين أشرت إليهم، أو ذكرت بعضهم، مَن سلك مسلكهم نأخذ عنه، ومن حاد عن سبيلهم فلنبتعد عنه، ومن أراد الشهرة بما ينشر من الإلزامات والتتبع، وتشويه سمعة إخوانه، وما إلى ذلك؛ فهذا أمر في غاية الخطورة فابتعدوا عنه.

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله.

** ** ** ** ** ** ** **

المجلس الخامس

[المتن]

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّه الأمين محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فيقول الشَّيخ الفقيه الإمام الحافظ: أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي –رحمه الله تعالى، وغفر له ولشيخنا ولنا وللمسلمين– في وصيّته لولديه.

قال –رحمه الله-:

إيثار الأخوة على الدنيا

ولاَ يُؤثِرْ أَحَدُكما عَلى أَخيهِ شَيئًا مِنْ عَرَضِ الدُّنيَا، فَيبخَلُ بأخيه مِنْ أَجلِه، ويُعرِضُ عَنه بِسَبَبِهِ، أَو يُنافسُه فِيه. وَمَنْ وُسِّعَ عَليهِ منكُمَا فِي دُنيَاه، فَليشَارِكْ بِهَا أَخَاه، ولاَ يَنفَرِدْ بِهَا دُونَه، وَلَيَحرِصْ عَلَى تَثمِيرِ مَالِ أَخيهِ كمَا يَحرِصُ عَلَى تَثمِيرِ مَالِه.

[الشرح]

بسم الله الرحمٰن الرحيم. الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

هذه الوصية تتعلق بالإيثار، وأوصى ابنيه بأن يؤثر كلاًّ منهما أخاه على نفسه، ومن شأن المؤمنين الإيثار، قال الله تعالى -في الثناء على الأنصار-: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[٢٦٧] فطلب منه أن يعطف على أخيه وأن يشركه في ماله إذا كان الآخر ماله مقصرًا عن حاجته، وأن لا يستأثر عليه بهذه الحياة الدنيا وحطامها؛ لأنها لا تزن عند الله جناح بعوضة؛ فالمال كثيرًا ما يكون سببًا في

---

[٢٦٧] [الحشر: ٩].

الشقاق والخلاف حتى بين الإخوة وبين الابن وأبيه؛ ولذلك أوصاهما مُلِّحًا بأن يؤثر كلاًّ منهما أخاه على نفسه في هذا الباب، وهذا شأن المؤمنين مع بعضهم البعض، فكيف الأخ مع أخيه.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

التعاطف والتواصل

وَأظهِرَا التَّعَاضُدَ والتَّواصُلَ والتَّعاطُفَ والتَّناصرَ، حَتى تُعرَفا بِهِ؛ فإنَّ ذَلكَ مِمَّا تُرضِيَان بِهِ رَبَّكُما، وتُغيظَان بِه عَدُوَّكما.

[الشرح]

أوصى ابنيه بالتواصل والتكاتف والتعاون والتعاطف؛ حتى يصبحا مثلاً يُحتذى في ذلك، ولا يجد أحد عليهما ثغرةً ينفذ منها بسبب ضعف التواصل بينهما، فإن في التواصل أولاً: صلة للرحم، **((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))**[٢٦٨].

وفيهما ثانيًا: عطف ورحمة بين المؤمنين، ونحن مأمورون بالتواصل على اختلاف أجناسنا نحن المسلمين، فكيف بالأخ مع أخيه، فيه تواصل، وفيه صلة رحم، وفيه عناية بالأقربين، وقد سمعتم الحديث بالأمس؛ حديث أبي طلحة عندما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل صدقة حديقته (بَيْرَحَاء) في الأقربين من أقاربه.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

[٢٦٨] رواه البخاري ومسلم.

لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا

وإيَّاكُما والتنَافُسَ والتَّقاطعَ والتَّدابرَ والتَّحاسُدَ وطَاعةَ النِّساءِ فِي ذَلك؛ فَإنَّه مِمَّا يُفسدُ دِينَكما ودُنيَاكُما، ويَضَعُ مِنْ قَدرِكُما، ويَحُطُّ مِنْ مَكَانِكُما، ويَحقِرُ أَمرَكُما عندَ عَدُوِّكُما، ويُصَغِّرُ شَأنَكُما عندَ صَدِيقِكُما.

[الشرح]

إنَّ من أخطر ما يفرق بين الأقارب ولاسيما بين الأخ وأخيه أو حتى بين الابن وأبيه: تدخل النساء في شأن الأسرة، وفي شأن الرِّجال؛ فينتج عن ذلك من المفاسد ما الله به عليم، فهو يوصي ابنيه -وهي وصية نافعة لجميع المؤمنين-: بألا يتحاسدوا ولا يتباغضوا ولا يتقاطعوا ولا يتدابروا ولا يتهاجروا، وهذا مطلوب بين جميع المؤمنين، فكيف بالأخ مع أخيه، وليكونا مثالاً يُحتذى في التواصل والتوافق، وينصحهما ألا يحول النساء بين مودة الأخ لأخيه؛ لأنه كثيرًا ما تفرق النساء اللاتي لا يخفن الله -تبارك وتعالى- بين الأخوين، وتورث بينهما العداوة والبغضاء؛ ولذلك لا يجوز أن تطيع امرأتك بشأن رحمك وأقاربك وإخوانك؛ فإن كثيرًا من النساء اللاتي لسن على استقامة في جنب الله -سبحانه وتعالى- لا تتورع أن توغر صدر الأخ على أخيه؛ بل صدر الابن على أبيه، فاحذروا من ذلك وكونوا عباد الله إخوانًا.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

لا تبطلوا صدقاتكم بالمنِّ والأذى

ومَنْ أَسدَى منكُمَا إلى أَخيهِ مَعرُوفاً أو مُكَارَمةً أو مُوَاصَلةً؛ فَلا يَنتظِرْ مُقارَضَةً عَليهَا، ولاَ يَذكرْ مَا أَتى مِنهَا؛ فَإِنَّ ذَلك مِمَّا يُوجِب الضَّغَائنَ، ويُسبِّبُ التَّباغضَ، ويُقبِحُ المعرُوفَ، ويَحقِرُ الكَبيرَ، ويَدُلُّ عَلَى المقتِ والضَّعَةِ ودَناءةِ الهِمَّةِ.

[الشرح]

أيضًا ينبههما إلى خطورة المنِّ في الصدقات ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ**﴾[٢٦٩] .

فإذن عليك -يا عبد الله!- أن تحذر من المنِّ ﴿**قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى**﴾[٢٧٠]، فإيَّاكم والمنّ مع الأبعدين فكيف بالأقربين، فإذا أسديت إلى أخيك معروفًا وبذلت له شيئًا؛ فلا تقل له أنا أعطيتك وبذلت لك وقدمت لك؛ فإن ذلك يورث البغضاء والضغائن؛ بل ربما أدى إلى التقاطع، وربما أدى إلى أن أخاك لا يقبل منك شيئًا بعد ذلك، ولو كان في أشد الحاجة.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

لا تقابل الإساءة بالإساءة

وإنْ أحَدُكُما زَلَّ وتَركَ الأَخذَ بوَصيَّتي في بِرِّ أَخيه ومُراعَاتِه، فَليَتَلاَفَ الآخَرُ ذَلك بِتمسُّكِه بوصِيَّتي، والصَّبْرِ لأَخِيه، والرِّفقِ بِه، وتَركِ المقَارَضةِ لَه عَلى جَفوَتِه، والمتَابعةِ لَه

[٢٦٩] [البقرة: ٢٦٤].

[٢٧٠] [البقرة: ٢٦٣].

عَلى سُوءِ مُعامَلتِه؛ فإنَّه يَحمُدُ عَاقبَةَ صَبْرِه، ويَفوزُ بالفَضلِ فِي أَمرِه، ولاَ يَكُون مَا يَأتِيه أَخُوه كَبيرُ تَأثِيرٍ فِي حالِه.

[الشرح]

قد تحصل من أخيك زلةٌ أو هفوةٌ أو خطأ غير مقصود، أو عاطفة تؤدِّي إلى خطأ ما، فعليك أن تحتمل ذلك، وأن تصبر وتحتسب، وأن تغفر لأخيك زلته، وأن تتغاضى عن هفوته وكأنك لم تر ولم تسمع شيئًا. «كَأَنَّك لَم تَسمَع وَلَم يَقلِ».

يعني تجتهد في أن تتغافل وتتغابى عن زلة أخيك، وتشعره بأنك لا تبالي بما حصل، وأنك واسع الصدر، وأنك طيب؛ هو سيندم على فعلته إن كان متعمدًا، ويتلافاها إن كان مخطئًا، وتصلح الأحوال بذلك -بإذن الله-. أما لو كلٌّ منَّا تتبع زلاَّتِ أخيه وهفوات أخيه سواءٌ كان أخاه من النسب أو أخاه المسلم؛ فإنه ستكثر الإحَنْ والمشاكل والعداوات

«أخَاكَ أخَاكَ إنَّ مَن لاَ أخَا لَه .. كَساعٍ إلَى الهيْجَا بغَيرِ سِلاَحِ»،

يعني إذا أكثرت العتاب وأكثرت اللوم في كل صغيرةٍ و[كبيرة] تندم على ...

«إذَا كنتَ فِي كلِّ الأُمُور مُعَاتبًا .. أَخَاكَ فَلن تَلقَ الذِي لاَ تُعَاتِبهْ»

[المتن]

قال –رحمه الله-:

بركة الاتفاق

واعلَمَا أنِّي قَد رَأيتُ جَمَاعةً لَم تَكُن لَهم أَحوَالٌ ولاَ أَقدَارٌ، أَقَام أحوَالَهم، ورَفَع أقدَارَهم اتِّفَاقُهم وتَعَاضُدُهم. وقَد رَأيتُ جماعةً كَانَت أقدَارُهم سَامِيَةً، وأحوَالُهم نَامِيةً، مَحَقَ أحوَالَهم، ووضَعَ أقدَارَهم اختِلافُهم. فاحذَرا أنْ تكُونَا منهُم.

[الشرح]

يعني: ينبههم أن يكون على اتفاقٍ دائمًا وعلى وفاق، وأن لا يظهرا خلافتهما لأحد من الناس؛ حتى لا يشمت بهما الحاسدون والمستغلون والمصطادون في الماء العكر، وقد بيَّنَ لهما مثلاً؛ أنه رأى أناسًا أصحاب وجاهة ومقامات عالية وشرفًا عظيمًا قد أزْرَى بهما ما بينهما من خلاف وإحَنْ، وهناك أناس ليست لهم تلك المقامات، وليس عندهم ذلكم الغنى والثراء وليسوا ذوي أحوالٍ عالية، أو مقاماتٍ عالية؛ لكن بسبب اتفاقهم وعدم اختلافهم وتوافقهم وتصافيهم وتوادهم وتراحمهم وتعاطفهم؛ كانوا من أصحاب الدرجات العلا والمقامات السامية، نتيجة لامتثالهم أمر الله -جلَّ وعلا- بالائتلاف والاجتماع والاتفاق وعدم إظهار الجزع والتسخط اتجاه أخيك المسلم، وخصوصًا أخاك من النسب.

[المتن]

قال -رحمه الله-:

صلة الرحم

ثمَّ عَليكُما بموَاصَلةِ بَني أعمَامِكُما وأهلِ بَيتِكُما، والإكرَامِ لَهم، والموَاصَلةِ لِكبيرِهم وصَغيرِهم، والمشَارَكةِ لَهم بالمالِ والْحَالِ، والمثَابَرةِ عَلَى مهَادَاتِهم، والمتَابَعةِ لزيَارتِهم، والتَّعَاهدِ لأُمُورهِم، والبرِّ لِكَبيرِهم، والإشفَاقِ عَلَى صَغيرِهم، والحِرصِ عَلى نَماءِ مَالِ غَنيِّهم، والحِفظِ لغَيْبِهم، والقِيامِ بحوَائجهم، دُون اقتِضاءِ لمجَازاةٍ، ولاَ انتِظارِ مُقارضَةٍ؛ فإنَّ ذلكَ مما تَسُودان به في عَشِيرتكُما، وتَعْظُمَان به عندَ أَهلِ بَيتِكُما.

وَصِلا رحِمَكما وإنْ ضَعُفَ سَببُها، وَقرِّبا مَا بعُدَ منهَا، واجتهِدَا في القِيَام بحقِّها. وإيَّاكُما والتَّضييعَ لهَا؛ فَقد رُوِيَ عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال: ((مَنْ أحبَّ النَّسَأَ

في الأجلِ، والسَّعَةَ في الرزقِ، فليَصِلْ رَحِمَهُ))[271]، وهذا مِمَّا يَشْرُفُ به ملتزمه، ويعظُمُ عندَ الناس مُعظِّمه. ومَا عَلمتُ أهلَ بيتٍ تقاطَعوا وتدَابَروا؛ إلا هلَكُوا وانقَرَضُوا، ولا عَلمتُ أهلَ بيتٍ تواصَلوا وتعَاطَفوا؛ إلا نَمَوْا وكَثُروا، وبُورِكَ لهم فيمَا حَاولُوا.

[الشيخ]

يؤكد على ابنيه مسألة صلة الرحم، التي يصل الله من وصلها، ويقطع من قطعها كما وعد -سبحانه وتعالى-، وعد الرحم عندما قالت له: **((هَذا مَقامُ العَائذِ بكَ مِنَ القَطيعَة، قَال: أمَا تَرضَيَنَ أن أَصِلَ مَن وَصَلكِ وَأَن أقطعَ مَن قَطعَكِ))**[272]، والله - تبارك وتعالى- يقول: **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾**[273]، ويقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: **((مَن كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَليَصِل رَحِمَه))**[274]، ويقول عليه الصَّلاة و السَّلام: **((مَنْ أحبَّ يُنسَأَ لَهُ فِي أَثَرِه، يُبسَطَ لَهُ فِي رزقِهِ، فليَصِلْ رَحِمَهُ))**[275]؛ معنى يُنسأ؛ أي: يؤخر له في أجله؛ والمقصود: أنَّ الله يبارك له في أجله وعمره، فعلى المسلمين جميعًا أن يتمثلوا بذلك.

وصلة الرحم من أعظم الأمور التي تقرب إلى الله -جلَّ وعلا- وقطيعتها من أعظم الأمور التي تجعل صاحبها مقطوعًا؛ بل ربما كانت سببًا في تفاني الأرحام، وفي إفناء بعضهم بعضًا، وإذا ثارت بينهم العداوة فقد يفني بعضهم بعضًا؛ فيشمت بهم الحاسدون، ويكونون في شر حال -والعياذ بالله-.

---

[271] عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: **((مَن سَرَّهُ أن يَبسُطَ اللهُ عليه في رِزْقِهِ، ويَنْسَأَ في أثرِه، فَلْيَصِلْ رحمه))**. أخرجه البخاري، ومسلم ، وأبو داود.

[272] رواه البخارى (٥/٢٢٣٢ ، رقم ٥٦٤١) ، ومسلم (٤/١٩٨٠ ، رقم ٢٥٥٤).

[273] [محمد: ٢٢ -٢٣].

[274] رواه البخاري ومسلم.

[275] سبق تخريجه هامش رقم: ٥.

ثم إنه بصلة الرحم يسود المرء عشيرته، ويكسب مودهم، ويكسب محبتهم، ويعظمونه ويبجلونه، ويدعون له ويقربونه، ويكسب إلفهم، ويجمع شتاهم، وينفع فقيرهم، ويعطف على صغيرهم، ويقرب كبيرهم، ويحترم كبيرهم، وتسود بينهم الألفة والمحبة والسؤدد.

فعليك -يا عبد الله!- هذه الوصية العظيمة فإنها من أعظم الوصايا، فصلة الرحم ترفعك عند الله وتقربك إليه، وتنفعك عند محبيك، تنفعك عند أقرابك وتنفعك عند الله -تبارك وتعالى-.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

الوصية بالجار

ثم الجَارُ؛ عَليكُما بحفظِه، وَالكَفِّ عَن أذَاه، والسَّتْرِ لِعَورتِه، والإِهدَاءِ إلَيه، والصَّبْرِ عَلى مَا كَان مِنه؛ فَقد رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا يؤمن مَنْ لا يأمَنُ جارُه بوائِقَه)). ورُوِيَ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سَيُوَرِّثُه)).

[الشيخ]

الجار حثَّ الله على رعايته في كتابه؛ وهو أحد الحقوق العشرة التي جاءت في قول الله -عز وجل-: **﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾**[٢٧٦] فالجار لا سواء كان مسلمًا أم غير مسلم؛ من المعاهدين والذميين والمستأمنين،

[٢٧٦] [النساء: ٣٦].

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **((مَن كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فليُكرِم جَارهُ))**[٢٧٧].

والجيران ثلاثة: جارٌ له ثلاثة حقوق وهو الجار المسلم القريب، وجارٌ له حقان وهو الجار المسلم البعيد، وجارٌ له حق واحد وهو الجار غير المسلم فله حق الجوار.

ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم زار الغلام اليهودي عندما أُخبِرَ أنه مريض؛ فوجده يحتضر فدعاه إلى الإسلام فنظر إلى أبيه –وكأنه يستأذنه-؛ فقال له: **(أطعْ أبا القاسم)**؛ لأن اليهود يعلمون أن الإسلام حق؛ فشهد أنْ لاَ إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله؛ فقال: **((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ))**[٢٧٨]، وكان ابن عمر –رضي الله عنه- إذا طبخوا قال لهم: "أأطعمتم جارنا اليهودي؟".

فعلينا أن نتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأن نقتفي أثره في العناية بحقوق الجار، لقد ثبت في الحديث أن الجار يأخذ حكم الشريك في الشُّفعة على جاره، وذلك يدل على عظم حقوق الجوار، فعلينا أن نُعنى بها حق العناية؛ حتى أننا نُهينا أن نؤذيه [بقتار] القدر أو بالدخان إذا أوقدنا نارًا.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

الجوار قرابةٌ ونسبْ

---

[٢٧٧] رواه البخاري ومسلم.

[٢٧٨] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِى الصَّحِيحِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ.

واعلَمَا أنَّ الجِوارَ قَرَابةٌ ونَسبٌ، فَتحبَّبا إلى جيرانِكما كما تتحبَّبان إلَى أقاربِكما. ارعَيا حُقوقَهم في مَشهَدِهم ومَغِيبِهم، وأَحسِنا إلَى فقيرِهم، وبَالِغَا في حِفظِ غَيبِهِم، وعَلِّما جَاهِلَهم.

[الشرح]

الجار هو كالقريب بمثابة القريب؛ ولذلك قال: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ﴾[279] ففي حكم القريب؛ بل وفي حكم الشريك —كما ذكرتُ لكم- إلى درجة أن له حق الشفعة في حصته أو في حصة جاره التي يريد بيعها.

وأوصى —رحمه الله- هنا أن تعنى بجارك كما تعنى بأقاربك؛ حتى إن العرب في الجاهلية كانوا يعنون بحرمات الجوار، وكانوا يعنون بجوارهم، وكان أحدهم يقول:

«وأغضُّ طَرفِي إذَا بَدَّت جَارَتِي ... حتَّى يُوارِي جَارتِي مَأوَاهَا»

والإسلام قد حض على ذلك وأمر به، فعلينا أن نعنى بذلك حق العناية.

[المتن]

قال —رحمه الله-:

صلة أصدقاء الأب

ثم مَنْ عَلِمتُما مِنْ إخوَانِي وأَهلِ مَوَدَّتِي، فَإنَّه يَتعَيَّنُ عَليكُما مَرَاعاتُهم وتَعظيمُهم، وبِرُّهم وإكرَامُهُم ومُوَاصَلَتُهم؛ فَقد رُوِيَ عن عبدِ الله بنِ عمر أنه حدَّث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ))[280].

---

[279] [النساء: ٣٦].

[280] والبخاري في الأدب المفرد (٢٩/١ ، رقم ٤١) ، ومسلم (١٩٧٩/٤ ، رقم ٢٥٥٢).

[الشرح]

برٌّ من لهم صلة بوالدك من أعظم ما يقرِّبُ من الله -جلَّ وعلا-، وقد سمعنا الحديث إن من أعظم البر صلة ودِّ أبيه، والحديث الآخر: **((وإكَرَامُ صَدِيقِهمَا))**[٢٨١]، لما قال: هل عليَّ شيء من برِّ والدي بعد مماتهما؟ قال: ((والإحسان إلى صديقهما، وإكرام صديقهما)) وكان عبد الله بن عمر يبر رجلاً كلما لقيه، وقال إن عمر كان يحب هذا أو كان يصل هذا، فعلينا أن نجتهد في ذلك، وأن نتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الأخلاق العالية.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

إكرام الإخوان

ثمَّ إخوَانُكُما، عَامِلاَهم بالإِخلاَصِ والإِكرَام وَقَضَاء الحُقُوق، والتَّجَافي عَن الذّنُوب، والكِتمانِ للأَسرَار.

وإيَّاكُما أَن تُحدِّثا أَنفُسَكُما أَن تَنتَظِرا مُقَارضَة مِّمَن أحسَنتُما إلَيه، وأَنعَمتُما علَيه؛ فإنَّ انتظَارَ المقَارَضَة يَمسَح الصَّنِيعة، ويُعيد الأَفعَالَ الرَّفيعَة وَضيعةً، ويُقلِب الشُّكرَ ذَمَّاً، والحَمدَ مَقتاً.

[الشرح]

يأمرهما هنا -وهو أمر لجميع المسلمين-: أن يُعنى بحقوق إخوانهما المسلمين في كل مكان، والمسلم له على أخيه حقوقًا كثيرة، انظر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: **((حقُّ المُسلِمِ عَلَى المُسلمِ سِتٌّ: إذَا لَقِيتَهُ فَسلِّم عَلَيهِ، وإذَا دَعَاكَ فأجِبه، وإذَا عَطِسَ فَحمِدَ اللهَ**

---

[٢٨١] رواه أبو داود وابن ماجه، وضعفه الألباني؛ (ضعيف ابن ماجه: ٣٦٦٤) ٨٠٠ ، المشكاة: ٤٩٣٦.

فَشَمِّتْهُ، وإذَا استَنصَحَكَ فَانصَحهُ، وإذَا مَرِضَ فَعُدهُ، وإذَا مَاتَ فَاتبَع جَنَازَتهُ))[٢٨٢]، **((أفشِي السَّلاَمَ عَلَى مَن عَرَفتَ ومَن لَم تَعرِف))**[٢٨٣] ثم إذا وفقك الله لتقدم لأخيك شيئًا من الصلة والبر والصدقة والعون، فإيَّاك والمنِّ كما تقدم؛ لأن المنَّ من الشيطان **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾**[٢٨٤]، فإنك إذا مننت شيئًا وفقك الله لتقديمه لأخيك؛ يحول هذه الصدقة إلى وضاعة، ويمسخها وكأنها لم تكن؛ لأن المنَّان أمره خطير، فعليك أن تجتهد في إكرام إخوانك المسلمين، وأن لا تمنَّ عليهم بشيءٍ وفقك الله تعالى للقيام به.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

الصبْر على أذى الناس

ولاَ يَجبُ أَنْ تَعتَقدَا مُعادَاةَ أَحدٍ، واعتمِدَا التَّحرُّزَ مِنْ كُلِّ أحَدٍ، فَمنْ قصَدَكما بِمطَالَبةٍ، أَو تَكرَّرَ عَليكُما بأذيَّةٍ، فَلا تُقَارِضَاه جَهدَكما، والتَزما الصَّبْرَ لَه مَا استَطَعتُما، فمَا التَزَم أَحدٌ الصَّبْرَ والحِلمَ إلاَّ عزَّ ونُصِرَ، ﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾[٢٨٥]* **وقد استعملتُ هذا بفضلِ الله مِراراً؛ فحَمِدتُ العَاقِبةَ، واغتَبطتُّ بالكَفِّ عَنِ المقارضةِ.**

[الشرح]

---

[٢٨٢] والبخاري في الأدب المفرد (١/٣١٩ ، رقم ٩٢٥) ، ومسلم (٤/١٧٠٥ ، رقم ٢١٦٢).

[٢٨٣] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: **((تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ))**. أخرجه البخاري (١/١٣ ، رقم ١٢) ، ومسلم (١/٦٥ ، رقم ٣٩).

[٢٨٤] [البقرة: ٢٣٦].

[٢٨٥] [الحج : ٦٠].

* جاء في النسخة: وَمَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّه الله، والصحيح أنَّ الآية: ﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾، وقد نوَّه الطالب على هذا في نهاية الدرس.

هنا يحثُّ ابنيه على الصبر والتحمل حتى وإن أسيءَ إليهما؛ فإن الصبر أمره عظيم وعاقبته حميدة؛ ولذلك يقول الله -جلَّ وعلا-: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[٢٨٦]، والإيمان نصفان: نصفه صبر ونصفه شكر، فاصبر على ما أصابك، واصبر على إيذاء إخوانك وتحمَّل عُجَرَهُم وبُجَرَهُم، وأحسن إلى من أساء إليك.

«أَحسِن إِلَى النَّاسِ تَستَعبِدْ قُلُوبَهُم ... فَلَطَالَما استَعبَد الإنسَانَ إحسان»

وصل من قطعك وارحم من أساء إليك، ومدَّ يدك إلى من أساء إليك، وإيَّاك أن يكون في قلبك حقدٌ على أحد، ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[٢٨٧] وليكن قلبك سليمًا لإخوانك المسلمين حتى وإن أساءوا إليك.

وهناك ملحوظة؛ وهو قوله: (لاَ تُبغِض أحدًا) وإن كان أظنه استدرك في المستقبل، المقصود من المسلمين لا يكن في قلبك على أخيك المسلم شيء، وأما الكفار فإنهم يبغضون حتى وإن أحسنت إليهم، في بعض الأحوال، في أحوال خاصة؛ لكن بقلبك تُبغِضُهُم وتَكْرُهُهُم وتمقُتُهم وتبغض دينهم، **والناس في هذا الباب ثلاثة أقسام:**

- **قسمٌ** تجب محبتهم مطلقًا وتجب موالاتهم مطلقًا؛ وهم الأنبياء ومن على نهجهم من المؤمنين الْخُلَّص، أهل الإحسان البعيدين عن المعاصي.
- **وقسمٌ** يجب بغضهم ومعاداتهم مطلقًا؛ وهم الكفار حتى وإن تعاملت معهم بالإحسان في ظرفٍ من الظروف من المعاهدين والمستأمنين؛ لكن يجب أن تبغضهم بقلبك وأن تبغض دينهم، فالكفار الْخُلَّص يجب بغضهم بالقلب حتى وإن تعين برُّهم في بعض الأحوال؛ مثل صلة بعض الأقارب، وبر الوالدين الكافرين؛ لكن يجب بغضهم بالقلب ديانةً.

---

[٢٨٦] [الزمر: ١٠].

[٢٨٧] [الحشر: ١٠].

● **وقسمٌ** يحبون من جانب ويحبون من جانب آخر؛ المسلم العاصي تحبه من جهة إسلامه، وتمقته من جهة كمعاصيه، تشفق عليه؛ ولكنك تبغضه في هذا الباب، ولا تكرهه؛ لأنه مسلم؛ لكن تبغض فيه هذا الباب.

فعلى المسلم أن يتنبه لهذا التقسيم، ولعله -إن شاء الله- تُلقى محاضرة على الولاء والبراء، تفنَّد فيها هذه القضايا؛ لأن بعض الناس لا يفهمها ولا يفقهها.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

التوكل على الله

ولاَ تَستَعظِما مِنْ حَوادثِ الأيَّامِ شَيئًا، فَكُلُّ أَمرٍ ينقَرضُ حَقيرٌ، وكُلُّ كَبيرٍ لاَ يَدومُ صَغيرٌ، وكُلُّ أَمرٍ يَنقَضي قَصِير، وانتظِرَا الفَرجَ؛ فَإنَّ انتظَارَ الفَرجِ عِبادَة، وعلِّقا رجَاءَكما بربِّكُما، وتوكَّلاَ عَليه، فَإنَّ التوكُّلَ عَليه سعَادَةٌ.

[الشرح]

التوكل والرجاء من أعظم أنواع العبادة، ومن توكل على الله كفاه، **﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**[٢٨٨]، **﴿وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾**[٢٨٩]، **﴿حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾**[٢٩٠]، ونحو ذلك من النصوص **﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾**،

---

[٢٨٨] [المائدة:٢٣].

[٢٨٩] [التوبة:٥١].

[٢٩٠] [الطلاق:٣].

((لو أنَّكم تتوَكَّلُون علَى اللهِ حقَّ توكُّلِه لَرَزَقَكم كمَا يَرزُق الطَّير تَغدُو خِمَاصًا وتَعُودُ بِطَانًا))[291]

والتوكُّل غير التواكل، **التواكل:** هو الكسل والنوم والإخلاد إلى الراحة وعدم العمل.

أما **التوكل:** فهو العمل وبذل الأسباب مع الاعتماد على الله -تبارك وتعالى- وتفويض الأمور إليه؛ فعليك أن تتوكل عليه، وأن تكون راجيًا إياه، ولابد أن تكون في قلبك ثلاث مقامات: المحبة والرجاء والخوف في آن واحد؛ وهي أركان العبادة القلبية. فإيَّاك أن تفرِّطَ في ذلك ﴿**وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾، ومن توكل على الله كفاه، وقد يضعف المنُّ عليه والعطاء بقدر ما يضعف توكله على الله -سبحانه وتعالى-. فعلينا أن نجتهد في هذا التوكُّل فإنه من أعظم العبادات القلبية.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

الاستعانة بالدعاء

وَاستَعينَا بالدُّعَاء، والجَئَا إلَيهِ في البَأسَاءِ والضَّرَّاء؛ فَإنَّ الدُّعَاء سَفينةٌ لاَ تعطَبُ، وحِزبٌ لا يُغلَبُ، وجُنْدٌ لاَ يَهرُبُ.

وإيَّاكُما أنْ تَستَحِيلاَ عَن هَذَا المذهَبِ، أَو تَعتَقِدا غيْرَه، أو تتعلَّقا بِسوَاه، فَتَهلَكا وتَخسَرا الدِّينَ والدُّنيَا. وربَّما دَعَوتُما في شَيءٍ، فنَالَكُما مَع الدُّعَاء معرَّةٌ، أو وَصَلت إلَيكُما مَضَرَّةٌ، فازدَادَا حِرصًا عَلَى الدُّعاءِ، ورَغبَةً في الإخلاصِ، والتضرُّعِ والبُكَاءِ، فَإنَّ [مَا] نَالَكُما مِنَ المضَرَّة بما سَلَف مِنْ ذُنُوبِكُما، وَاكتَسَبتُماه مِنْ سيِّئ أعمَالكُما، ومَع ذَلكَ،

[291] أخرجه أحمد (٣٠/١ ، رقم ٢٠٥) ، والترمذى (٥٧٣/٤ ، رقم ٢٣٤٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ٣١٠.

فَالذِي ألهمَكُما إلَى الدُّعاء ووفَّقكُما، لاَ بدَّ أنْ يُحْسِنَ العَاقِبَةَ لَكُما، وقَد نَجَّاكُما بِدُعَائكُما عَنِ الكَثِيرِ، وصَرَفَ بِه عَنكُما مِنَ البَلاءِ الكَبِيرِ.

[الشرح]

الدعاء من أعظم العبادات؛ وهو قسمان: دعاء عبادة ودعاء مسألة.

ودعاء العبادة: يشمل جميع أنواع العبادة؛ من الخوف والرجاء والتوكل والصلاة والصوم والذبح والنذر: كل هذا يدخل في الدعاء، ومنه قول الله تعالى: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾[٢٩٢]، وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ**﴾[٢٩٣].

ودعاء المسألة: وهو جزء من دعاء العبادة؛ وهو الذي يقصده هنا فعلى المسلم أن يتوجه إلى الله دائمًا بالدعاء والدعاء هو العبادة كما ثبت في الحديث عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: ((**الدُّعَاء هُو العِبَادَة**))[٢٩٤] وينبغي أن نعرف جملة آداب في الدعاء.

أولاً: أن يكون خالصًا لله -جلَّ وعلا-، ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[٢٩٥]، ويناقض الإخلاص دعاء غير الله فإنه شرك أكبر، ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ** ﴾[٢٩٦].

فهؤلاء الذين يتوجهون إلى الموتى في قبورهم من بعض المنتسبين إلى الإسلام، ويقولون: أغثنا يا فلان! نحن في حماك يا فلان! هؤلاء مشركون لا يقبل الله منهم صرفًا ولا عدلاً، ومن

---

[٢٩٢] [الجن: ١٨].

[٢٩٣] [الفرقان:٧٧].

[٢٩٤] رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع: ٣٤٠٧.

[٢٩٥] [غافر:٦٠].

[٢٩٦] [الأحقاف:٥-٦].

قال: مدد يا شيخ فلان! وأعطني يا شيخ فلان! فهو مشركٌ لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً **﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا﴾**[٢٩٧].

الأمر الثاني -من شروط الدعاء وآدابه-: أن يبتعد صاحبه عن الحرام، وقد سمعنا بالأمس قصة الرجل الأشعث الأغبر الذي يمد يديه إلى السماء ويقول: يا رب! يا رب! فأنى يستجاب لذلك! وقال سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه-: يا رسول الله! ادع الله يجعلني مستجاب الدعوة؛ قال: **((أَطِبْ مَطعَمَك تَكُن مُستَجَابَ الدَّعوَة))**[٢٩٨].

والأمر الثالث: أن يكون وفق هدي النبي صلى الله عليه وسلم؛ بأن لا يكون فيه اعتداء ولا قطيعة رحم، فمن دعا على إخوانه، أو دعا على أهله وأقاربه؛ فهو معتدي وقاطعٌ لرحمه، ومن دعا بطلب أمر فيه إضرار بالآخرين؛ فهو اعتداء، ومن دعا بما يخالف سنن الله الكونية؛ كمن يقول اللهم اجعلني طيرًا أو ملكًا أو نحو ذلك؛ فهو معتدي في الدعاء؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **((مَا مِن دَاعٍ يَدعُو بِدعوةٍ لَيسَ فِيهَا اعتدَاءٌ وَلاَ قَطِيعةُ رَحمٍ إلاَّ أعطَاهُ اللهُ إحدَى ثَلاث: فإمَّا أن يَستَجِيبَ لَهُ دَعاءَهُ، وإمَّا أَن يَحُطَّ سَيئَةً، وإمَّا أَن يَرفَعَ لَهُ بِهَا دَرجةً))**[٢٩٩] أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

الأمر الرابع: أن لا يستبطئ الإجابة، لا يقول: دعوت ودعوت فلم يستجب لي! وعليه أن يكون حسن الظنِّ بالله **((أنَا عِندَ حُسن ظنِّ عَبدِي بِي، فَإن ذَكَرنِي فِي نَفسِه ذَكرتُهُ فِي نَفسِي، وإن ذَكَرنِي فِي مَلأ ذَكرتُهُ فِي ملأ خَيرٍ منهُم))**[٣٠٠].

وقد نبَّه الصنف على أمرٍ: وهو أهمية الاستمرار على الدعاء ليلاً ونهارًا وسرًا وجهارًا، وإن لم يستجب لك، وإن حصل لك ما حصل، فلعل ذلك بسبب تقصيرك في جنب الله -جلَّ

---

[٢٩٧] [الفرقان:٢٣].

[٢٩٨] أخرجه: الطبراني في الأوسط (٣١٠/٦ ، رقم ٦٤٩٥). وقال الألباني: (ضعيف جدًا) السلسلة الضعيفة: ١٨١٢.

[٢٩٩] رواه أحمد (١٨/٣ ، رقم ١١١٤٩)، وقال الألباني: حسن صحيح، صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٣٣.

[٣٠٠] متفقٌ عليه؛ البخاري (٢٦٩٤/٦ ، رقم ٦٩٧٠) ، ومسلم (٢٠٦١/٤ ، رقم ٢٦٧٥).

وعلا-، فاستمر على الدعاء ، وإن الدعاء سهام الليل، سماه العلماء سهام الليل، فاستكثر من هذه السهام -يا عبد الله!- وتحرَّى الأوقات المناسبة كما بين الأذان والإقامة، وعند الليل، وعند السفر، وفي حال الصوم، وعند الإفطار، وعند السجود، و يوم الجمعة، وغير ذلك من الأوقات المناسبة والتي هي حرية بإجابة الدعاء بإذن الله -تبارك وتعالى-.

[المتن]

قال - رحمه الله -:

شكر النعمة

وإذَا أَنعَم عَليكُما رَبُّكما بِنعمةٍ، فَتَلقَّياها بِالإكرامِ لَها، والشُّكرِ عَلَيها، والمُسَامَحة فِيها، واجَعلاَها عَونًا عَلَى طَاعتِه، وسَبَبًا إلَى عِبادتِه.

[الشرح]

إذا أنعم الله عليك بنعمة فكن من الشاكرين الذاكرين، واستخدمها في شكر الله فإن عدم شكرها مؤذنٌ بزوالها؛ قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[٣٠١]، وقال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾[٣٠٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ**﴾[٣٠٣]، فعليك أن تشكر النعم.

«إذَا كُنتَ فِي نِعمَةٍ فَارعَها ... فَإنَّ المَعَاصِي تُزيلُ النِّعَم»

---

[٣٠١] [إبراهيم: ٧].
[٣٠٢] [هود:١٠٢].
[٣٠٣] [النحل:١١٢].

أدم شكر النعمة يدمها الله -تبارك وتعالى- لك، وشكرها بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وقد صح في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **((عَجبًا لأمرِ المُؤمِن إنَّ أمرَهُ كُلَّه خَير، إن أَصابَتهُ سرَّاء شَكَر فكَانَ خَيرًا لَه، وإن أَصَابتهُ ضرَّاء صَبَر فَكَان خَيرًا له))**[٣٠٤]، وليس ذَلِك لأحدٍ إلا للمؤمن، وعنوان السعادة -يا عبد الله!- أن العبد إذا أعطي شكر، وإذا أذنب استغفر، وإذا ابتلي صبر.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

التحذير من إهانة النعم

والحَذرَ الحَذرَ مِنْ أَن تُهينا نِعمةَ ربِّكُما، فتَتْرُكَكُما مَذمُومَيْنِ، وتَزُول عنكُما مَمقُوتَيْن.

رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((يا عائشة! أَحْسِني جِوارَ نِعَمِ الله تعالى؛ فإنَّها قلَّما زالتْ عن قومٍ، فعادت إليهم))[٣٠٥].

وإيَّاكُما أَنْ تُطغِيَكُما النِّعمَةُ، فتُقَصِّرا عَن شُكرِها، أو تَنسَيا حَقَّها، أو تَظُنَّا أَنَّكُما نِلتُمَاها بِسَعيِكُما، أَو وصَلتُمَا إليهَا بِاجتِهادِكُما، فتَعُود نِقمَةً مُؤذِيةً، وبَليَّةً عَظِيمةً.

[الشرح]

على المسلم أن يحفظ النعم وأن لا يُهينها، وأن يشكر الله -عزَّ وجلَّ- عليها، وأن يستخدمها فيما أحلَّ الله له، وأن يستعين بها على طاعة الله -تبارك وتعالى-، وأن لا يغتر بها فيتكبر ويتعاظم على الناس، وألا يقول: ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي**﴾[٣٠٦] كما قال قارون

[٣٠٤] رواه مسلم (٤/٢٢٩٥ ، رقم ٢٩٩٩).

[٣٠٥] أخرجه ابن ماجه: (٣٣٥٣)، وضعفه الألباني في إرواء الغليل: ١٩٦١.

[٣٠٦] [القصص:٧٨]

وتعلمون ما حصل لقارون؛ وإنما قولوا هي رزق من الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿**فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ**﴾[٣٠٧]، فعليك أن تشكر النعمة، وأنْ تكرمها، وأن تقوم بحقها، وأن تكرم منها من ضيق الله عليهم الرزق، وأن تُوسِّعَ على إخوانك المؤمنين؛ حتى تدوم لك إذا سخرتها في طاعة الله وتقربت بها إلى الله، واستخدمتها فيما يرضي الله -سبحانه وتعالى-.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

طاعة ولي الأمر في المعروف

وعَلَيكُما بِطَاعَةِ مَنْ ولاَّه اللهُ أَمرَكُما فيمَا لاَ مَعصِيةَ فِيه للهِ تَعَالى، فَإنَّ طَاعتَه مِنْ أَفضلِ مَا تتمسَّكَان به وتَعتَصِمَان بِه مِمَّن عَادَاكُما.

[الشرح]

طاعة ولي الأمر تقدم الكلام عليهما، ونعيد باختصار ما تقدَّمَ وإن ولي الأمر هو ما ولاه الله عليك وساس المسلمين بشرع الله ولو بالغلبة ولو كان جائرًا أ وفاسقًا، فإنه تجب طاعته في حدود طاعة الله -عزَّ وجل-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾[٣٠٨]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: **((أَطِعِ الأَمِيرِ وإنْ أَخَذَ مَالكَ أَو ضَرَب ظَهرَك))**[٣٠٩] **((أَطِيعُوهم مَا أَقَامُوا الصَّلاَة فِيكُم) (مَا لَم تَروا كُفرًا بَواحًا عِندَكُم مِن اللهِ فِيهِ بُرهَان))**، ويقول عبادة بن الصامت –رضي الله عنه-: "بَايَعنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم

[٣٠٧] [الفجر:١٥].
[٣٠٨] [النساء:٥٩].
[٣٠٩] أخرجه مسلم (٦/٢٠).

على السَّمع والطَّاعَة في العسر واليُسر والمَنشَط والمَكرَه، وعَلى أَثَرةٍ علينا، وعَلى أَنْ لا نُنَازِع الأَمرَ أَهلَه؛ مَا لَم نَر كُفرًا بَواحًا عندنَا مِن اللهِ فيه بُرهَان"[٣١٠] حتى لو أمر بمعصية فإنه لا يطاع في تلك المعصية؛ ولكن ذلك لا يزيل طاعته في المعروف.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

عدم الخروج على السلطان العادل

وإيَّاكُما والتَّعرِيضَ لِلخِلاَف لَهم، والقِيامَ عَلَيهِم؛ فَإنَّ هَذَا فِيه العَطَبُ العَاجِل، وَالخِزيُ الآجِلُ، وَلَو ظَفَرتُما فِي خِلاَفِكُما، ونَفَذْتُما فِيمَا حَاولتُمَا؛ لَكَانَ ذَلكَ سَبَبَ هَلاكِكُما لِمَا تَكسِبانِه مِنَ المَآثِم، وتُحدِثَان عَلَى النَّاس مِنَ الحَوادِث والعَظَائِم.

ثُمَّ مَنْ سَعيتُما لَه، ووَثِقتُما بِه لاَ يُقدِّمُ شَيئًا عَلى إهلاكِكُما والرَّاحةِ مِنكُما، فإنَّه لاَ يَأمَنُ أنْ تُحدِثا عَليه مَا أَحدَثتُما لَه، وتَنهَضَان بغيْرِه كَما نَهضْتُما بِه.

لزوم الجماعة

فَالتِزَمَا الطَّاعَةَ ومُلاَزمَةَ الجَماعةِ، فَإنَّ السُّلطانَ الجَائرَ الظَّالِمَ أَرفقُ بالنَّاس مِنَ الفِتنَة وانطِلاقِ الأَيدِي والأَلسِنة.

[الشرح]

يُبيِّنُ -رحمه الله- استطرادًا لما تقدم- تحريم الخروج على السلطان، والعنوان الذي وضعه المحقق هنا في غير محله قوله: (عدم الخروج على السلطان العادل)؛ بل يحرم الخرج حتى السلطان الجائر، وهو قد بين ذلك بعد، فعدم الخروج محرمٌ سواءٌ على السلطان العادل أو على السلطان

[٣١٠] أخرجه البخاري (٣٦٧/٤) و مسلم (١٧/٦).

الجائر، الكل يحرم الخروج عليه؛ لأنه يحصل من الخروج عليه مفاسد وإن كان جائرًا، أعظم من البقاء والصبر عليه، وقد سمعتم الحديث: **((أَطِعِ الأَمِير وإِن أَخَذَ مَالكَ وَضَربَ ظَهرَك))**[311] فتجب طاعته والحج والجهاد معه والصلاة خلفه وإن كان جائرًا أو فاسقًا، مادام يقيم الصلاة، ولا يجوز الخروج عليه بحال سواءً كان عادلاً أو جائر؛ بل يجب الصبر والاحتساب ودعاء الله -عزَّ وجل- والصبر حتى يستريح برٌّ أو يستراح من فاجر.

وقد جاء على الإمام أحمد إبان طغيان المأمون الخليفة المعتزلي المعروف، وتعرفون أنه من تزعم -بادئ ذي بدء- مناصرة القائلين بخلق القرآن، وقتل وسجن العلماء، ممن تعرض لأذاه: الإمام أحمد -رحمه الله-، ودعا الله أن لا يلقاه فتقبل الله دعاءه، وقد حمله مقيدًا مع محمد بن نوح فمات المأمون بطرسوس قبل أن يلقى الإمام أحمد، ومع ذلك فإنه لما جاء جماعة من الشبان إلى الإمام أحمد يستأذنانه ويطلبان منه أن يخرج معهما على المأمون، والمأمون معتزلي؛ لكنه ليس هو صاحب الفكر في الأصل؛ وإنما هو مُضلَّلَ ومُضيَّع، وصاحب الفكر هو ابن أبي دؤاد وبشر المرِّيسي، فنهاهما عن الخروج وحذرهما من عواقبه؛ بل قال: "لو كنت أعلم أنني مستجاب الدعوة لادخرتها لولي الأمر" فلما لم يقبلا نصيحة الإمام أحمد؛ خرجا فلما لم يقبلوا فتشرذموا وقُتِلَ منهم من قُتِل، وسُجِنَ منهم من سُجِن، وشُرِّدَ من شُرِّدَ؛ لأن الخروج أعظم مفسدة من البقاء تحت إمامة هذا المعتزلي الجائر.

فعلينا أن ننتبه إلى خطورة الخروج الذي يدعو إليه بعض زعماء الكهوف الذين اتخذوا مُفتِين وهم مُفتَرون، واتخذوا قضاة وهو إلى جهنَّم دُعَاة، وإلى أبواب الشر سُعَاة، وإلى الخروج على أهل السنة دُعَاة. فاحذروا منهم ومن مناهجهم فإنهم شر الخلق والخليقة، وشر قتلى تحت أديم السماء، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، سواءٌ منهم المفتون في الداخل من القعدة، الذين يحرضون وهم قابعون في بيوتهم، أم الذين خرجوا وهم قابعون أيضًا

[311] أخرجه مسلم (٦/٢٠).

في كهوف الجبال. فاحذروا من هؤلاء السفهاء، واحذروا من فتاوى هؤلاء الجهلة وارجعوا إلى العلماء الربانيين على نحو ما بيَّنته لكم في أول هذه الدروس والله الموفق.

[المتن]

الصبر على السلطان الجائر

فَإنْ رَابَكُما أَمرٌ مِمَّن وُلِّي عَليكُما، أو وَصَلت منه أذِيَّةٌ إلَيكُما، فَاصبِرا وانقبِضَا وتَحَيَّلا لِصرفِ ذَلك عَنكُما بِالاستِنْزالِ والاحتِمالِ والإِجمَال، وإلاَّ فَاخرُجَا عَن بَلدِه إلَى أنْ تَصلُحَ لَكُما جِهتُه، وتَعُودَ إلَى الإِحسَان إلَيكُما نِيَّتُه.

وإيَّاكُما وكَثرةَ التَّظلُّمِ مِنه، والتعرُّضِ لذِكرِه بِقبِيحٍ يُؤثَرُ عَنه، فَإنَّ ذَلكَ لاَ يَزيدُه إلاَّ حَنَقًا وبُغضَةً فِيكُما، ورِضًا بإضرَارِه بكُما.

[الشرح]

هنا استدرك المحقق فجعل هذا العنوان الذي يبين ما أراد ولذلك يجب أن يلغى العنوان الأول، ويُقال: (عدم الخروج على الإمام مطلقًا) فهنا يبين المصنف -رحمه الله- أنه لا يخرج على الإمام الجائر؛ بل يجب الصبر عليه حتى مهما صدر منه من ظلم، وعليكما أن تجتهدا في الصبر، وإن عجزتما عن الصبر ونالكما شيء من الأذى؛ فتبحثا عن مكان آخر تسليان فيه بأنفسكما ودينكما وأموالكما، ولا يجوز أن تكثرا من الشكاية والتظلم لاسيما لأعداء الإسلام.

الآن —هنا- تناقض عجيب عند الخوارج المعاصرين؛ الخوارج المعاصرون يكفرون أئمة الإسلام، ويكفرون حكام المسلمين، هذا إن سَلِمَ بقية المسلمين من تكفيرهم، ومع هذا يستعينون بالكفار، ويرفعون أمرهم إلى ما يسمى: "بدعاة حقوق الإنسان".

وكم سمعنا من هؤلاء الخوارج من تناقض، يلجئون إلى الغرب في تشويه سمعة المسلمين ولا سيما الحكام، ويستنجدون بما يسمى بحقوق الإنسان؛ وهي منظمة يهودية خطيرة ماسونية، أليس هذا تناقض يا أصحاب الكهوف؟! أليس هذا تناقض يا من كفرتم المسلمين؟! تلجئون إلى اليهود والنصارى لمساعدة وللحرب على الإسلام والمسلمين كما فعل أسلافكم؛ بل أسلافكم لم يفعلوا هذا، أسلافكم يرون مثل هذا كفر، وأنتم رأيتم ما رأوه كفرًا إيمانًا قويًا! فاحذروا من هذا الفكر فإنه في غاية الخطورة، الفكر الذي يمثله دعاة الباطل في الجبال والوهاد والذين يخرجون بعض الشباب، وهم خُدَّام لليهود والنصارى من حيث يشعرون أو لا يشعرون، فاصبروا على الإمام ولو كان فاجرًا، وإياكم ودعوة هؤلاء الخوارج فإنها دعوةٌ شيطانية، ولو قال بها من قال من أدعياء العلم وهم أجهل من حُمُرِ أهْلِهِم.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

ترك منافسة السلطان

وابدَآ بَعدَ سَدِّ هَذه الأَبوَاب عَنكُما بتركِ مُنافَسة مَنْ نَافسَكُما، ومُطَالبةِ مَنْ طَالَبكُما، فإنَّه قَد يَبدَأ بهذه المعَانِي مَنْ يَعتقِد أنَّه لاَ يتوصَّل منهَا إلَى محظُورٍ، ولا يَتَشبَّثُ منهَا بمكرُوهٍ، ثمَّ يُفضِي الأمرُ إلى مَا لا يُريدُه، ولاَ يَعتمِدُه مِنْ مُخالفةِ الرَّئيس الذِي يَقهرُ مَنْ نَاواه، ويَغلِب مَنْ غَالَبه وعَادَاه.

[الشرح]

كأن الشيخ -رحمه الله- مع تقدم عصره يخاطب الآن جماعة الإخوان المسلمين، أليس كذلك؟ الذين لا هم لهم إلا منافسة السلاطين، والبحث عن الكراسي والحكم، هم ومن تفرع عنهم من التكفيريين والخوارج، فعجب سبحان الله! ما أشبه الليلة بالبارحة!

هذه الجماعة الظالمة لنا أكثر من ثمانين عامًا ما استفدنا منهم غير تقتيل الشباب المسلم وإسلامه إلى الحكَّام الظلمة، ومع هذا فإنهم قد يلجئون إلى الكفار في تحقيق مآربهم، فيتناقضون ولأنهم طلاب مناصب وطلاب أموال، ومن تولى منهم الحكم ما رأينا أنه طبق شيئًا من شرع الله؛ بل أول ما يبدأ بمن وقفوا معه وأيدوه؛ فيصفيهم، أليس كذلك؟! والله هذا هو الواقع فيمن يسمون بالإخوان المسلمين، أقولها بكل صراحة ولينقلها عني من ينقلها فقد عايشتهم وابتليت بمرافقتهم أشهرًا؛ فإن هذه الجماعة ومن تفرع عنها مبادئها تشبه مبادئ الماسونية تمامًا؛ وهي أن الغاية تبرر الوسيلة، والشيخ هنا كأنه يخاطبهم لما كان هدفهم منافسة السلطان؛ فشلوا؛ لأن الله علم أنهم لم يكونوا يريدون أن يقيموا شرع الله؛ ولذلك مؤسسهم قال كلمة جيدة وإن كان لم يطبقها هو في نفسه ولا مع أتباعه؛ قال: "أقيموا دولة الإسلام في أنفسكم تقم لكم في أرضكم"، فهم لا أقاموها في أنفسهم ولا أقاموها في أرضهم؛ فصاروا كمُعيِّد القريتين، فلا عيدوا في قريتهم، ولا أدركوا العيد في قرية التي قصدوها، وكانوا كالغُرَاب الذي أراد أن يقلِّد الحمامة، لا بقي على مشيته ولا أدرك مشية الحمامة.

إذن علينا أن نحذَرَ من هذا الفكر الذي أخذ جانبًا كثيرًا من أفكار الصهاينة، وطبقه على المسلمين علينا أن نحذر من هذا الفكر الجائر، والذي تفرع عنه ما تفرع من القطبيين والسروريين وغيرهم ممن انشقوا عنهم وتفرقوا وصاروا شيعًا وأحزابًا؛ بل كما ترون في أفغانستان وغيرها قاتل بعضهم بعضًا.

وفي بعض الجبال في بعض البلاد الإسلامية كثيرا ما صاروا يشتبكون فيما بينهم ويقتل بعضهم بعضًا، فتنبهوا من هذا الفكر، شيخ الإسلام ابن تيمية ذكر أن كثيرا ممن يخرجون على السلاطين إنما ينافسوهم في ثلاثة أمور: إما لطلب المال، أو لطلب المنصب، أو لطلب الجاه، وتجد من كانت هذه نيته لن يُوفَّق لا في هذا ولا في هذا؛ بل مصيره على الفشل الذريع، وهذا ما حققته جماعة الإخوان المسلمين، منذ أكثر من ثمانين عاما.

الآن ما يجري في الصومال، -والله إنها لمأساة!- يقاتلون من كان صديقًا لهم ومن كان زعيما لهم بالأمس أليس كذلك؟ من كان زعيمًا لهم بالأمس يريدون أن يصفوه، وانتظر لو قُدِّرَ أنهم استولوا الآن سوف يصفي بعضهم بعضًا، وهذه نتيجة حتميَّة لكل من كان هدفه غير وجه الله، لكل من يقاتل أو يجاهد -بحد زعمه- لتحقيق غرضٍ من أغراض الدنيا، **((مَن قَاتَل لِتكُون كَلمَةُ اللهِ هيَ العُليَا، فَذَلِك فِي سَبِيل اللهِ))**[312].

[المتن]

قال –رحمه الله-:

الاعتزال في الفتنة

وإنْ رأيتما أحَداً قد خَالَف مَنْ وُلِّيَ عَلَيه، أو قَام عَلى مَنْ أُسندَ أَمرُه إليه، فَلا تَرضَيا فِعلَه، وانقبِضا مِنه، وأَغلِقَا عَلى أنفُسِكما الأَبوابَ، واقطَعا بَينكُما وبَينَه الأَسبابَ، حتَّى تَنجلِيَ الفِتنةُ، وتنقضِيَ المحنَةُ.

[الشرح]

هذا الأمر محل تفصيل: فإذا وجدت فتنة وخرج من خرج على الإمام؛ يقول لهما: إنكما تعتزلان بالكلية؛ لكن قد يُستدرك عليه؛ فيُقال: إن وجدتم سبيلاً إلى الوقوف مع الإمام ضد الشرذمة الخارجة فلابدَّ أن تقفوا معه و﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**﴾[313]؛ لكن كلام المصنِّف ينصب على من ليس له حول ولا قوة، ومن ليس له حول ولا طول، فهنا ماذا يفعل؟

[312] أخرجه البخاري (٢٧١٤/٦ ، رقم ٧٠٢٠) ، ومسلم (١٥١٣/٣ ، رقم ١٩٠٤).
[313] [الحجرات:٩].

يكون حلس بيته، يلتزم بيته ويعتزل الفتن كلها، إلى أن ينجلي الأمر وتظهر الحقيقة، وينصر الله من ينصره.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

الزهد في الدنيا

وإيَّاكُما والاستِكثَارَ مِنَ الدُّنيا وحُطَامِها، وعَلَيكُما بالتَّوسُّطِ فيهَا، والكَفافِ الصَّالحِ الوَافِرِ منهَا؛ فإنَّ الجمعَ لَهَا والاستِكثَارَ مِنها، معَ مَا فيه مِنَ الشُّغل بهَا، والشَّغبِ بالنَّظرِ فيهَا؛ يَصرِفُ وُجوهَ الحَسدِ إلى صَاحبِها، والطَّمعِ إلَى جَامعِها، والحنقِ على المنفردِ بها.

[الشرح]

الدُّنيا مطيَّة إلى الآخرة، فازهد فيها -يا عبد الله!-، واهتم بالآخرة، كُنْ في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وإيَّاك أن تغتر بها، ﴿**فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾[٣١٤]، ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾[٣١٥].

[المتن]

قال –رحمه الله-:

[٣١٤] [لقمان:٣٣].

[٣١٥] [الكهف: ٤٥-٤٦].

كل ذي نعمة محسود

فَالسُّلطَانُ يتمنَّى أنْ يَزِلَّ زلَّةً يتسبَّبُ بهَا إلى أَخذِ مَا عَظُمَ في نفسه مِنْ مَالِه، والفَاسقُ مُرصَدٌ لخِيانتِه واغتِيالِه، والصَّالِحُ ذامٌّ لَه عَلى استِكثَارِه مِنه واحتِفالِه.

يَخافُ عَلَيه صَديقُه وحَميمُه، ويُبغضُه مِنْ أجلِه أَخُوه شقَيقُه، إنْ منعَه لم يعدمْ لاَئمًا، وإنْ بَذلَه لَم يجدْ راضيًا.

[الشرح]

الخلاصة أن منافسة هؤلاء للسلاطين إما لقصد الأموال؛ فينبغي للمسلمين أن يربؤوا بأنفسهم عن هذا، وأن يجتهدوا في توجيهه ونصحه بالمعروف.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

آفات الدنيا

ومَنْ رُزِقَ مِنكُما مَالاً، فَلا يجعلْ في الأُصولِ إلاَّ أقلَّه؛ فإنَّ شغَبَها طَويل، وصَاحبَها ذَليلٌ، وهيَ لَيسَت بمالٍ علَى الحَقِيقة، إنْ تَغلَّبَ عَلَى الجِهة عَدوٌّ حَالَ بينَه وبينَهَا، وإنِ احتَاجَ إلَى الانتِقَال عنهَا ترَكَها أو تَركَ أكثَرَها.

[الشرح]

يعني: ينفق مما رزقه الله من الأموال ولا يحتفظ بها؛ اللهم إلا بقدر ما يترك أولاده في سعة وسعة رزق، فإنك إن تترك ورثتك أغنياء أولى من أن تتركهم عالة يتكففون الناس، وما عدا ذلك فتقلل منها وأنفق منها ما دمت في الحياة الدنيا، قبل أن تفارقها ويتصارع الناس عليها، وربما اصطليت بحرها، إن كانت من غير طريق الحلال.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

لا يصلك إلا ما قُدِّر لك

وَمَن احتَاج مِنكُما، فَليُجمِل فِي الطَّلب، فإنَّه لاَ يفُوته مَا قُدِّر له، ولاَ يُدرِك مَا لَم يُقدَّر له، وقَد ذَكَر الله تعَالَى مَا وَعظَ بِه العَبدُ الصَّالح ابنَه فِي مِثلِ هَذَا، فقال: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[٣١٦].

[الشرح]

يعني: على المؤمن أن يوقن بأن ما قَسَمَ الله له لابد أن يأتيه ولو كان في قلب صخرة **((وَاعلَم أَنَّ الأمَّة لَو اجتمَعُوا عَلَى أَن يَنفَعُوك لَم ينفعُوك إلاَّ بِأمرٍ قَد كَتَبَه اللهُ لَك، ولَو اجتَمَعُوا عَلَى أن يضُرُّوك لَن يَضرُّوك إلاَّ بأمرٍ قَد كَتَبه اللهُ عَلَيك، جَفَّت الأَقلاَمُ وطُوِيَت الصُّحُف))**[٣١٧]، فازهد فيما عند الناس، وارغب فيما عند الله -جلَّ وعلا-، وتقلل من النهم في طلب المال إلا من قدر ما تنفقه فيما يعود عليك بالخير.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

من أتى السلطان افتتن

---

[٣١٦] [لقمان: ١٦].

[٣١٧] أخرجه أحمد (١/٢٩٣ ، رقم ٢٦٦٩) ، والترمذي (٤/٦٦٧ ، رقم ٢٥١٦)، وصححه الألباني في المشكاة (٥٣٠٢).

واجتَنبا صُحبَةَ السُّلطَانِ مَا استَطعتُما، وتَحرَّيا البُعدَ مِنه مَا أمكنَكُما، فإنَّ البُعدَ مِنه أفضلُ مِنَ العِزِّ بالقُربِ مِنه؛ فَإنَّ صَاحبَ السُّلطانِ خَائفٌ لاَ يَأمَنُ، وخَائِنٌ لا يُؤْمَنُ، ومُسيءٌ إنْ أَحسَن، يَخافُ منه ويُخاف بِسَببه، ويَتَّهمه النَّاسُ مِنْ أجلِه. إنْ قرَّبَ فتَنَ، وإنْ أَبعدَ أحزنَ، يحسُدُك الصَّديقُ عَلى رِضَاه إذَا رَضِي، ويتبَرَّأ مِنكَ وَلدُك ووَالِدَاك إذَا سَخِطَ، ويَكثُرُ لائمُوكَ إذا مَنَع، ويَقِلُّ شَاكِرُوك إذَا شَبِع. فَهَذه حَالُ السَّلامةِ مَعه، ولاَ سَبيلَ إلَى السَّلامةِ مِمَّن يَأتِي بَعدَه.

مصاحبة السلطان في المعروف

فَإنِ امتُحِنَ أحَدُكما بِصُحبتِه، أو دَعَتْه إلَى ذَلك ضَرورةٌ، فليتقَلَّلْ مِنَ المالِ والحَالِ، ولَا يغتَبْ عِندَه أحَدًا، ولاَ يُطالِب عِندَه بَشرًا، ولاَ يَعصِ لَه في المعرُوف أمرًا، ولاَ يَستنْزِلْه إلَى مَعصيةِ الله تَعَالى، فَإنَّه يَطلبُه بمثلِهَا، ويَصِيرُ عِندَه مِنْ أهلِها. وإنْ حَظِيَ عِنده بمثلِها في الظَّاهرِ، فإنَّ نفسَه تَمقتُه في البَاطِن.

[الشرح]

ينبه هنا إلى التقلُّل من صحبة السلاطين، فإن الإكثار من ذلك قد يورد أحيانًا المهالك، ولاسيما الذي يصاحبهم لأغراض دنيوية؛ فإن ذلك مصيره إلى النكران؛ لكن من ابتلي بالصحبة لأمر أو لآخر أو بسبب عمل يُوكل إليه، أو وجد من نفسه القدرة على النصيحة بالطرق الشرعية دون إعلان أو دون تشهير أو نحو ذلك؛ فلا بأس؛ ولكن عليه أن يتحفظ، وأن يُسدي النصح، وأن لا يكون هدفه تحقيق غرض من أغراض الدنيا، وأن لا يكون هدفه الطمع فيما عنده؛ بل يكون هدفه مناصحته؛ لأننا مأمورون بالنصيحة لذي السلطان بالطرق الشرعية؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((الدِّينُ النَّصِيحَة، قُلنَا: لِمَن يَا رَسُولَ الله!؟ قال: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))**[٣١٨]، وتقلل من التطلع إلى الأموال،

[٣١٨] رواه مسلم (٧٤/١، رقم ٥٥).

وعليك أن تكون ناصحًا ولا تغتب عنده أحدًا، ولا تضر عنده أحدًا، وكن ناصحًا أمينًا؛ فذلك ينفعك عند الله، ويستفيد منك السلطان المسلم.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

البعد عن طلب الجاه

ولاَ يَرغَب أحَدُكما فِي أنْ يَكونَ أَرفعَ النَّاس درَجةً، وأتَمَّهُم جَاهًا، وأعلاَهُم مَنْزلةً؛ فَإنَّ تِلكَ حَالٌ لاَ يسلَمُ صَاحبُها، ودَرجةٌ لاَ يثبُتُ مَنِ احتلَّها.

خير الأمور الوسط

وَأسلَمُ الطَّبقاتِ الطَّبقةُ الوسْطَى: لاَ تُهتَضَمُ مِنْ دَعَةٍ، ولا تُرمَقُ مِنْ رِفعةٍ. ومِنْ عيبِ الدَّرجةِ العُليا أنَّ صَاحبَها لا يرجُو المزيدَ؛ ولكنَّه يَخافُ النَّقصَ، والدَّرجةُ الوُسطَى يَرجو الازدِيادَ، وبَينها وبَين المخَاوفِ حِجَاب.

فَاجعَلا بَين أَيدِيكُما دَرجةً يَشتغِلُ بِهَا الحَسودُ عَنكُما، وَيَرجُوها الصَّدِيقُ لكُما.

[الشرح]

يبين هنا أن الطمع في المناصب الكبرى من أعظم الأشياء التي تورد المهالك، والرسول صلى الله عليه وسلم نهى أن تسأل الإمارة وقال: **((إنَّكَ إنْ أُعطِيتها عَن مَسأَلَةٍ لَن تُعان عَلَيها))**[٣١٩]، فعلى المسلم أن يتقلل من ذلك وأكثر ما يقع الناس في المهالك طلبهم وطمعهم في المناصب، وخير الناس هم من يتوسط ويجتهد في أن يكون في الطبقة الوسطى، وقد ورد في

---

[٣١٩] عن أَبي سعيدٍ عبدِ الرحمٰنِ بن سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((يَا عَبْدَ الرَّحمٰن بن سَمُرَةَ، لاَ تَسْأَلِ الإمَارَةَ؛ فَإنّكَ إن أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَأتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينكَ))** متفقٌ عَلَيْهِ. أخرجه : البخاري ٧٩/٩ (٧١٤٦) ، ومسلم ٨٦/٥ (١٦٥٢) (١٩).

الحديث الذي فيه مقال؛ الاستعاذة من الغنى المطغي، ومن الفقر المنسي؛ فمعناه صحيح، فعلى المسلم أن يسأل الله الكفاف بحيث لا له ولا عليه.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

لا تطلب الإمارة

ولاَ يَطلُب أَحدُكما ولايةً؛ فإنَّ طَلَبَها شَيْنٌ، وتركَها لمن دُعِيَ إليهَا زيْنٌ، فمنِ امتُحِنَ بهَا مِنكُما، فَلتكُنْ حالُه في نَفسِه أَرفعَ مِنْ أنْ تُحدِثَ فيه بأوًا[٣٢٠]، أَو يُبدِي بهَا زَهوًا، وليعلمْ أنَّ الولايةَ لاَ تَزيدُه رِفعَةً؛ ولَكنَّها فِتنةٌ ومِحنةٌ، وأنَّه مُعرَّضٌ لأَحدِ أَمرَين: إمَّا أنْ يُعْزَلَ فَيعُودَ إلَى حَالتِه، أَو يُسِيء استدَامةَ ولايتِه؛ فَيقبُحُ ذِكرُه، ويثقُلُ وِزرُه. وإنِ استوتْ عِندَه ولايتُه وعَزلُه، كَان جديرًا أنْ يستَدِيم العَملَ فيبلُغَ الأملَ، أو يُعزلَ لإحسَانِه، فَلا يَحُطُّ ذَلك مِنْ مكَانِه.

[الشرح]

كما بيَّـــنَّا وذكرنا الحديث في طلب المناصب، وتحريم طلب الإمارة فأمرها خطير؛ لأن الإنسان الذي يحب تلك المناصب ستكون عاقبته وخيمة؛ إما أن يُعزل؛ فيصبح كأن لم يكن يومًا من الأيام في ذلكم المكان، وإما أن يسيء إلى الناس، وإما أن يظلم، وإما أن تكون ندامة عليه يوم القيامة، أما إذا توسط فيها وأتته عن غير مسألةح فإن الله سيعينه ويستوي عنده العزل والبقاء، وبالتالي لا تضره بإذن الله -تبارك وتعالى-.

---

[٣٢٠] البأو: الفخر.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

الإقلال من المزاح

وأقِلاَّ مُمازَحةَ الإخوَانِ ومُلابَستَهم، والمتابَعةَ في الاسترسالِ مَعهُم؛ فَإنَّ الأعدَاءَ أكثَرُ مِمَّنْ هَذه صِفتُه، وقَلَّ مَنْ يُعاديك مِمَّنْ لا يَعرفُك ولا تعرِفُه.

فَهذَا الذِي يَجبُ أنْ تَمتثلاه وتَلتزِماه، ولاَ تترُكاه لِعرَضٍ ولاَ لِوجهِ طمَعٍ، فرُبَّما عَرضَ وَجهُ أمرٍ يَروق، فيستَزلُّ عنِ الحَقَائق بِغيرِ تَحقيقٍ، وآخِرهُ يَظهَر مِنْ سُوءِ العَاقِبة ما يُوجِب النَّدمَ حَيثُ لاَ يَنفعُ، ويَتمنَّى لَه التَّلاَفي فلاَ يُمكِن.

[الشرح]

ينهى عن الإفراط في المزاح، كان رسول الله يمزح ولا يقول إلا حقًا؛ لكن الإفراط في ذلك قد يفضي إلى أشياء لا تحمد عقباها.

«ربَّما استَفتَحتَ بِالمزحِ مَغَالِيقَ الحِمَامِ .. إنَّما السَّالِمُ مَن ألجَمَ فَاهُ بِلجَامِ»

وإياك أن تُفرِط بالكلام وفي الكلام الذي لا ينفع، وأن لا تكون مهذارا ،وأن لا تفشي أسرارك، وأن لا تكثر الهذر والكلام مع الآخرين، وتوسط في أمورك كلها تحمد عباها في الدنيا والآخرة.

[المتن]

قال –رحمه الله-:

وصية لقمان لابنه

فَإنْ فَقَدتُما وَصِيَّتِي هَذه، ونَسِيتُما مَعنَاها، فعلَيكُما بما ذَكَرَ اللهُ تَعَالى فِي وصيَّةِ لُقمانَ لابنه، فَإنَّ فيهَا جُمَّاعَ الخيْرِ؛ وهي: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[٣٢١].

وإنِّي لأُوصِيكُما، وأَعلمُ أنِّي لَن أُغنيَ عَنكُما مِنَ الله شَيئًا إنِ الحُكمُ إلاَّ لله عليهِ توكَّلت وعَلَيهِ فَليَتوكَّل المتوكِّلون، وهُو حَسبُنا ونِعمَ الوَكيل.

كَمُلتِ الوصيةُ المباركةُ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وآله الطيبين، وصحابته المنتَجَبين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

وذلك في يوم الخميس السابع لشهر ذي الحجة مختَتَمِ عام تسعةٍ وأربعين وسبعمائة.

[الشرح]

هنا يختم كلامه بأن يتمسك ابناه بهذه الوصية، وأن يعظا عليها بالنواجذ؛ فإن ضاعت منهما أو فقدت؛ فعليهما أن يلزما وصية العبد الصالح لابنه؛ والذي فيه النهي عن الشرك، وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وفيها الأمر بالتواضع والقصد في المشي، والغض من الصوت، والتواضع لله -تبارك وتعالى-، وفيها من الوصايا الجامعة ما تكفيكما عن كثير من الكلام، وهذه وصية جميلة -كما سمعتم تفاصيلها-، وفي ختامها ما هو أجمل بإحالتهما إلى تلك الوصية العظيمة في القرآن الكريم، فإن من تمثل بتلك

[٣٢١] [لقمان:١٧-١٩].

الوصية؛ حظي بخيري الدنيا والآخرة؛ أعني: تلك الوصية في القرآن؛ وهي خلاصة ما تقدم ذكره، من الوصايا الغالية التي أسداها -رحمه الله- لابنيه. فعلينا أن نُعنى بمثل هذه الوصية، وأن نعضَّ عليها بالنواجذ، وأن نجتهد في تطبيقها، وأن نجتهد في تطبيق هدي الكتاب والسنة إلى أن نلقى الله -سبحانه وتعالى-.

وهنا أنبِّه على: أن الكلام الأخير أو التاريخ، أنا لم أجد طريقًا لهذا التاريخ الأخير؛ لأن المصنف توفي سنة أربعمئة وأربعة وسبعين، والمكتوب هنا سبعمئة وتسعة وأربعين خاتم الوصية، ولعلَّ ذلك من أحد النُسَّاخ والله أعلم، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ونستأذن الإخوة في طرح سؤالين فقط؛ لأني استأذنتهم خمس دقائق على المعهود سابقًا.

** ** ** ** ** ** ** **

الأسئلة

أحسن الله إليكم وبارك فيكم ونفعنا بما سمعنا، وجعله في ميزان حسناتكم.

قبل ذلك ننبه على خطأ وقع في النسخة؛ تحت عنوان: (الصبر على أذى الناس) وهو في الآية: ومن بغي عليه لينصرنه الله؛ الصواب: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾.

السؤال:

لنا أخ سلفي مختصٌّ في علم القراءات وهو يدرس في مدرسة قرآنية تابعة لجمعية خيرية تابعة للإخوان المسلمين، فهل يجوز له التدريس فيها لظروفه الخاصة، وسعيه في دعوة من يدرسون عليه؟

الجواب:

إذا كان هذا الرجل لا يشترط عليه شيء يخالف هدي الكتاب والسنة، ويخالف هدي السلف، ويغلب على ظنه أنه ينتفع به بعض الناس في هذه المدرسة في الهداية إلى منهج السلف؛ فليستمر، وإن فرضوا عليه طقوسًا من طقوسهم فليفِرَّ فراره من الأسد.

** ** ** ** ** ** ** **

السؤال:

أحسن الله إليكم؛ يقول: ما حكم الحلف لإصلاح ذات البين مع أن الطرف الذي ينسب إليه القول لم يقله؟

الجواب:

هذا السؤال أحيلكما فيه إلى شيخنا الشيخ عبد المحسن عبد البدر حفظه الله.

** ** ** ** ** ** ** **

السؤال:

أحسن الله إليكم، ما حكم لبس النساء للقبعة للزينة ولبسها بنية التشبه بالكافرات؟

الجواب:

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **((مَن تَشبَّه بِقومٍ فَهُو مِنهُم))**[٣٢٢] فأيُّ لباس فيه تشبه بالكفار في طقوسهم الدينية؛ فإنه محرم، وكذلك تلك الملابس التي تمثل شيئًا من مقاطع المرأة أو عورتها، وكل جسمها عورة؛ فإن ذلك لا يجوز؛ بل هو محرم، وعلى المسلمة أن تعتز بدينها وأن تبتعد عن كل شبهة.

وبالمناسبة -بمناسبة الكلام عن اللباس والقبعات وما إلى ذلك، ونحن في أيام تكثر فيها الزواجات وعقود الأنكحة، والأفراح، نسأل الله أن يجعلها أفراح خير وبركة وأن تكون عونًا على طاعة الله- أنبِّه الإخوة إلى أمرين:

الأمر الأول: يتعلق فيما يسمى: "بالدبلة"، والتي يلبسها كل من العروسين عند العقد في البنصر، دبلة عليها اسم الرجل تلبسه المخطوبة، ودبلة عليها اسم المرأة يلبسها الخاطب؛ هذه عادة يهودية ولعلها في الأصل ترجع إلى ما يسمى بالخاتم السليماني الذي هو عند اليهود، فينبغي للمسلمين أن يحذروا من هذا التشبه، وأن يبتعدوا عن لبس هذه الدبلة بهذه الكيفية، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

ثانيًا: دأب بعض المقلدين والمتفرنجين والمستغربين إذا خطب رجل ابنته وقبل العقد أنه يسرح معها، ويتصل بها كلما أراد وقد يخلو بها، وقد يخرج بها إلى شراء بعض الحاجيات؛ وهذا كله من تقليد الإفرنج، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

[٣٢٢] رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: ٦١٤٩.

تنبيهٌ أخير: وهو التكلف في هذه الأفراح، والسهر الذي يقع من كثيرٍ من الناس في أفراحهم، والذي قد يعرض صلاة الفجر للضياع، ويؤذي الناس، ومع أن النبي صلَّى الله عليه وسلم يقول: **((إِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ))**[٣٢٣]؛ يعني: أخوك فإنه إذا علم أن ذلكم الفرح يشتمل على محرم، فلا يجوز الحضور إلا لمن غلب على ظنه أنه يسهم في إزالة ذلك لا لمنكر، وكذلك أنه إذا غلب على ظنه أنه يسهر سهرًا يُضيِّعُ عليه صلاة الفجر؛ فقد قال بعض مشايخنا: أن له أن يعتذر، وأن لا يحضر؛ حتى وإن لم تكن فيه مخالفة ظاهرة إلا هذا السهر المفرط.

وفَّق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح.

وقد تمَّ الفراغ من شرح هذا الكتاب في يوم الأربعاء الخامس من شهر رجب، سنة ثلاثين وأربعمئة وألف، تم الفراغ من شرح كتاب وصيَّة أبي الوليد الباجي -رحمه الله- لابنيه.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[٣٢٣] رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني.